اللّه في العقيدة الإسلامية

الدكتــــور
عبد الباري محمد داود
كلية الآداب جامعة بنها ـ قسم الفلسفة

الله
في العقيدة الإسلامية

الكتـــــــاب : الله في العقيدة الإسلامية
المؤلـــــــف : د. عبد الباري محمد داود
رقــم الطبعـــة : الطبعة الأولى
تاريــخ الإصـــدار : يناير ٢٠٠٢

الناشــــــــر : دار نهضة الشرق
العنــــــوان : ٣٢ شارع طلعت حرب - القاهرة
تليفـــــــون : ٥٧٩٥٩٦٠ - ٥٧٥٨٣٨٤
فاكــــــس : ٥٧٩٥٩٨٠
رقــم الإيـــداع : ٩٦٧٧
الترقيــم الدولـــي : I.S.B.N. 977-245-153-0

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝
وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾

سورة الإخلاص ، الآيات: ١- ٤.

وقال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾.

سورة الأعراف ، الآية: ١٨٠.

وقال تعالى:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

سورة الشورى ، الآية: ١١.

الإهــــــداء

إلى ابنـــي أحمــــد.

أهــدي إليــك ثمــار هــذا البحــث علماً وعمــلاً وسلوكــا وتطبيقـــاً.

والــــدك

عبد البــــــاري

مقدمة عامة

الحمد لله رب العالمين تقدس في أزليته وأبديته عن النظير والشبيه، وتنزه في جماله وجلاله وكماله عن مقالات أهل التمويه، الغني عن جميع خلقه، فلا آن يحصره، ولا أحد ينصره، ولا ضياء يظهره، ولا حجاب يخفيه، الواحد الأحد، القدوس الصمد، الذي لاشك فيه، شهدت بكمال قدرته عجائب صنعه، فكل ما سواه موجده ومدبره ومنميه، الحي العليم القدير السميع البصير الملك الكبير، فلا مقرب لمن يبعده، ولا مبعد لمن يدينه، المتكلم بكلام أزلي، ومن عطل أو شبه فقد وقع في التيه، حبب للمؤمنين إثبات صفات الكمال، والعجز من إدراك الجلال فهذا القدر يكفيه. ومن رام الوقوف على غاية أو ظن المعرفة لها نهاية فقد تعد طوره.

فالله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الموجودات وخلق العوالم ودبرها واستحق المحامد جميعها والأسماء الحسنى كلها وإنه على كل شئ قدير، وبكل شئ عليم. والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يعالج هذا البحث موضوعاً على جانب كبير من الأهمية، وهو يعد بحق من الدراسات الإسلامية الهامة والرئيسية، وكان هذا دافعاً من دوافع اختياري لهذا الموضوع واهتمامي به.

ولاشك أن هذا الموضوع يلقي الضوء على دراسة خاصة بالعقيدة الإسلامية تحدثنا عن:

" الله في العقيدة الإسلامية ".

واشتمل هذا البحث على عدد من الدراسات الإسلامية التي ألقت العناية

الكافية حول هذا الموضوع، وسوف يتضح للقارئ في هذا البحث هذه الجوانب التي تضمنها بين صفحاته.

كما يجد القارئ أيضاً ما يريح نفسه ويطمئن قلبه لاستخدامنا المنهج الإسلامي في هذه الدراسة، منهج القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف حكماً في كل ما تعرضت له، بعيداً كل البعد في أي حكم ظني، فالظن كما يقول منهج العقل القرآني لا يغني عن الحق شيئاً.

وبناءً على ما تقدم انحصرت معالجتنا لهذا البحث في أربعة فصول رتبناها على الوجه التالي:

الفصل الأول: جاء بعنوان ‹ **الله سبحانه وتعالى واحد أحد منفرد في ملكه وملكوته لا شريك له** › .

الفصل الثاني: عنوانه ‹ **الله سبحانه وتعالى واحد في ذاته منفرد في كل خصائصه** › .

الفصل الثالث: يدور حول ‹ **الله سبحانه وتعالى هو الإله الحق المستحق للعبادة** › .

الفصل الرابع: يأتي متناولاً ‹ **الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات البشر** › .

وفي نهاية البحث قدمنا النتائج التي أمكن التوصل إليها من خلال ما استعرضناه من موضوعات عارضاً فيها وجهة النظر الإسلامية بالنصوص المنقولة من الكتاب والسنة بالإضافة إلى ما تضمنه البحث من استنتاجات.

وقد ذيلنا البحث بقائمة تحوى أهم المصادر والمراجع التي استخدمناها بالإضافة إلى مجموعة المراجع والأصول التي اعتمدنا عليها.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه وأن يتقبله بقبول حسن وأن يجعله صدقة جارية وينفع به المسلمين إنه سميع قريب مجيب الدعاء. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدكتور

عبد الباري محمد داود

الفصل الأول

الله سبحانه وتعالى واحد أحد منفرد في ملكه لا شريك له

الفصل الأول
الله سبحانه وتعالى واحد أحد
منفرد في ملكه لا شريك له

اعلم أيدك الله تعالى أن كل من له عقل يعرف أن الله تعالى واحد لا شريك له إذ جاز كون الإله اثنين لجاز أن يريد أحدهما شيئاً ويريد الآخر ضده كحركة زيد وسكونه فيمتنع وقوع المرادين وعدم وقوعهما لامتناع ارتفاع الضدين المذكورين واجتماعهما. فيتعين وقوع أحدهم فيكون مريده هو الإله الحق دون الآخر لعجزه. فلا يكون الإله إلا واحداً بإجماع العقلاء.

قال جمهور المتكلمين: والواحد هو الذي لا ينقسم ولا يشبه بفتح الموحدة المشددة. أي لا يكون بينه وبين غيره شبه بوجه من الوجوه فلا يكون لوجوده ابتداء ولا انتهاء. إذ لو كان له ابتداء أو انتهاء لكان حادثاً والحادث يحتاج إلى محدث وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً(١).

وقد قيل: الآحاد أربعة أقسام: الأول: أحد لا يتميز ولا ينقسم ولا يفتقر إلى محل وهو الباري جل وعلا. والثاني: أحد يتميز وينقسم ويفتقر إلى محل وهو الجسم. والثالث: أحد يتميز ولا ينقسم ويفتقر إلى محل وهو الجوهر. والرابع: أحد لا يتميز ولا ينقسم ويفتقر إلى محل وهو العرض(٢).

وقد قال الشيخ محيي الدين في باب الأسرار من الفتوحات: اعلم أن الله تعالى واحد بإجماع. ومقام الواحد تعالى أن يحل فيه شئ أو يحل هو في شئ، إذ الحقائق لا تتغير عن ذواتها، فإنها لو تغيرت لتغير الواحد في نفسه وتغير الحق تعالى في نفسه وتغير الحقائق محال.

---

(١) الشعراني: اليواقيت والجواهر، ج١، ص: ٢٩ .

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

فالحق سبحانه وتعالى مع الخلق أينما كانوا سواء كان عددهم شفعاً أو وتراً لكن لا يكون الله تعالى واحداً من شفعيتهم ولا واحداً من وتريتهم إذ صفته التي ظهرت للمشاهد لا يمكن أن تقف في المرتبة العددية التي وقف فيها الخلق أبداً فمتى انتقلوا إلى المرتبة التي كان فيها صفة الحق تعالى انتقلت صفة الحق تعالى إلى المرتبة التي تليها قبل انتقالهم.

وهذا تنزيه عظيم لا يصح للخلق فيه مشاركة مع الحق تعالى أبداً.

ولا يصح لعبد أن يترقى في تنزيه الحق تعالى عما يعلمه من نفسه أبداً. فكل عبد ينزه ربه عن كل ما هو عليه إذ كل ما هو عليه العبد محدث. والحق لا ينزه إلا عن قيام الحوادث به ولذا كان التنزيه يختلف باختلاف المنزهين. فالعرض يقول سبحانه من لم يفتقر في وجوده إلى محل يكون به ظهوره. والجوهر يقول سبحان من لم يفتقر في وجوده إلى موجد يوجده.

فالأحدية جاءت ثابتة الإطلاق على ما سواه تعالى. قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[1]. أي لا يشاركه أحد في صفة الأحدية.

ونستطيع أن نقول: الأحدية أخذت من الأحد، والأحد هو الله سبحانه وتعالى. والفرق بين الأحد والواحد من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن الواحد يدخل في الأحد، والأحد لا يدخل فيه.

الوجه الثاني: أنك إذا قلت فلانا لا يقاومه واحد جاز أن يقال ولكنه يقاومه اثنان.

الوجه الثالث: أن الواحد يستعمل في الإثبات، والأحد يستعمل في النفي، نحو ما رأيت أحد يفيد العموم[2].

---

(١) سورة الإخلاص ، الآية: ١ .

(٢) عبد العزيز الديريني: طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب، تحقيق محمود إبراهيم داود (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١م) ص: ٢٩ .

وقد قيل: الوحدانية: انفراد الله سبحانه وتعالى بالإيجاد والامداد.

وروي عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه سئل: أين كان ربنا قبل خلق العرش؟ فقال رضي الله عنه: أين السؤال عن المكان. وكان الله ولا مكان ولا زمان وهو الآن كما كان[١].

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: « اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ، وأنت الآخر فليس بعدك شئ »[٣].

وقد قيل: الملك من له الملك: ومُلكُ الحق سبحانه وتعالى: قدرته على الإبداع. فكما لا إله إلا هو. فلا قادر على الإبــداع إلا هو. فهو بإلاهيته متوحد، وبملكه متفرد، ملك نفوس العابدين فصرفها في خدمته، وملك قلوب العارفين فشرفها بمعرفته سبحانـــه وتعالى؛ ملك قلوب العارفين إحسانـــه، فطمعــوا في عطائه، وملك قلوب الموحدين سلطانه. فقنعوا ببقائـــه. عرَّف أرباب التوحيد أنه مالكهم فسقط عنهم الاختيار. علموا أن العبد لا ملك له. ومن لا ملك له لا حكم له: إن الحكم إلا لله، ومن لا حكم له لا اختيار له، فلا لهم عن طاعته إعراض. ولا على حكمه اعتراض. ولا في اختياره معارضة. ولا لمخالفته تعرض[٤].

يقول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: « أنا الله الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد ».

---

(١) ابن عربي: رد المتشابه إلى المحكم، ص: ٦٥.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٣.

(٣) أخرجه مسلم في حديث أوله: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول ..... فذكره.

(٤) المحاسبي: البعث والنشور، تحقيق محمد عيسى رضوان (بيروت: دار الكتب العلمية، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ص: ٨.

أما عن كلمة صمد: فمعناها بمعنى مفعول، أي مصمود إليه ومقصود من كل الخلق.

لم ألد ولم أولد: لأنه تعالى لما كان واجب الوجود لذاته، كان قديماً موجوداً قبل كل موجود، ولما كان كل مولود محدثاً ـ أي له أول ـ انتفت الولدية. ولما كان الله لا يشبهه أحد من خلقه ولا يجانسه، حتى لا يكون له من جنسه صاحبة، فيتوالد، انتفت الوالدية.

ولم يكن له كفواً أحد: أي مكافئاً ومماثلاً.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله: السلوب الواجبة لله تعالى على قسمين: أحدهما: سلب نقيصة، كالسنة والنوم والموت، والآخر: سلب للمشاركة في الكمال، كسلب الشريك.

وأما قوله ·لم يلد ولم يولد·: فإنه سلب للنقص، إذ الولد والوالد لا يكونان إلا من جسمين، وهما من الأغيار، والأغيار نقص يتنزه الله تعالى عنه. وإن كانا يدلان بالالتزام على أن الولد مثل الوالد، فبذلك يعودان إلى سلب المشاركة في الكمال.

ثم قال أبو عبد الله البخاري رحمه الله تعالى:

قوله ·الله الصمد·: والعرب تسمي أشرافها الصمد.

قال أبو وائل شقيق بن سلمة: هو السيد الذي انتهى سؤدده.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الذي تصمـد إليه الخلائـق في حوائجهم ومسائلهم، وهو من صمد إذا قصد، وهو الموصوف به على الإطلاق، فإنه مستغن عن خلقه وعن غيره مطلقاً وكل ما عاداه محتاج إليه، في جميع جهاته.

وقال الحسن وقتادة: هو الباقي بعد خلقه.

وعن الحسن: الصمد: الحي القيوم، الذي لا زوال عنه.

وعن الضحاك والسدي: الصمد: الذي لا جوف له، أي فلا يكون محتاجاً.

وعن عبد الله بن يزيد: الصمد: نور يتلألأ.

وكل هذه الأوصاف صحيحة في صفاته تعالى.

ولقد قال القسطلاني نقلاً عن الغزالي في «فتوح الغيب»: الله أحد: دليل على إثبات ذاته المقدسة، المنزهة، والصمدية، تقتضي نفي الحاجة عن الله تعالى، وتقتضي احتياج غيره إليه.

ولم يلد إلى آخر السورة: تسلب ما يوصف به غيره، عنه تعالى.

ولا طريق في معرفته تعالى أوضح من سلب صفات المخلوقين عنه تعالى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: لا يزال الناس يتسائلون، حتى يقال: لقد خَلَقَ الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً، فليقل: آمنت بالله»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «قال رسول الله ﷺ: يأتي الشيطان أحدكم، فيقول: من خلق كذا، وكذا، حتى يقول له: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته»[(٢)].

فالله سبحانه وتعالى في ذاته واحد لا شريك له، فرد لا مثيل له، صمد لا ضد له، متوحد لا ند له، وأنه قديم لا أول له، أزلي لا بداية له، مستمر في الوجود لا آخر له، أبدي لا نهاية له، قيوم لا انقطاع له، دائم لا انعدام له، لا يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت الجلال، لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال، بتصرم الآماد وانقراض الآجال، بل هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شئ عليم[(٣)].

والله سبحانه وتعالى إله واحد لا شريك له لا يقع في ملكه إلا ما أراد ولا

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

(٣) الغزالي: الأربعين في أصول الدين، ص: ١٣.

يغلبه غالب ولا يضل ولا ينسى، ليس بغافل فنذكره ولا ببعيد فنناديه ولا بجاهل فنعلمه تعالى عن المساعد والمشير، كل فعله حسن وقوله حق، بين لخلقه ما يحتاجون إليه وهدى المؤمنين لنوره بمشيئته ودحض حجة الكافرين بإقامة حجته لا يحتج عليه بقضاء وقدر بل له الحجة البالغة، لا يدركه عقل ولا يحيط به نقل، لا يدرك بالأبصار ولا يحل في مكان فأهل السموات في ذلك كأهل الأرضين، وعد المؤمنين برؤيته في جنته ووعدهم بأنه وليهم وناصرهم يخرجهم من ظلمات المعاصي إلى أنوار الطاعات، من جهل حقيقة ذاته وعلم بصفاته فهو الموحد، ومن اعتقد معرفة حقيقة الذات فهو الكافر الملحد، فليس الله في شئ ولا شئ منه، قال تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1].

وكان المرسي يحث أصحابه على ذكر اسم الله ويقل هذا الاسم سلطان الأسماء وله بساط وثمرة، فبساطه العلم وثمرته النور، وإن حصل النور وقع الكشف والعيان[2].

وقال أحد العلماء: الذات لا تدخل تحت إحاطة علم ولا إدراك.

وقال آخر: إنما كان الأين في حقه تعالى محالاً لأن الأين محتاج إلى أين فيتسلسل وما يتسلسل فلا يتحصل ولا يلزم من إطلاق مجاز اللفظ أن يكون حقيقة فافهم. وإذا فهمت المعاني فلا مشاحة في الألفاظ.

قيل ليحيى بن معاذ أخبرني عن الله عز وجل؟ فقال: إله واحد. فقيل له: كيف هو؟ فقال: ملك قادر. فقيل: أين هو؟ فقال: هو بالمرصاد. فقال السائل: لم أسألك عن هذا. فقال: ما كان غير هذا كان صفة المخلوق فأما صفته فما

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

صالح الجعفري: أسرار الصيام للخواص والعوام (القاهرة: دار جوامع الكلم، ط٣، سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ص: ١٢.

(٢) الشعراني: الطبقات الكبرى، ج٢، ص: ١٧.

أخبرتك عنه.

فالله سبحانه وتعالى هو الحي القيوم العظيم القوي العزيز ذا الجلال والإكرام الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد الحليم الكريم القريب المجيب.

إن الطريق إلى الله عز وجل هي آثاره التي تدل عليه وهو طريق وحيد، والعقـل والفكـر والعلم شروط أساسية لسالك هذا الطريق. ولعل هذا الكلام مستغرب عند العلمانيين والعقلانيين والأحرار والمفكرين، ولكن الدعوى بدون دليل ليس لها أي قيمة علمية. ويثير الناس عند الوصول إلى هذه الحقيقة السؤال التقليدي: من خلق الله الذي خلق الخلق ؟ وفي مضمون السؤال جواب عليه.

فالله خالق وكونه خالقاً يجعلنا لا نتصور أنه مخلوق، إذ لو كان مخلوقاً لما استطاع أن يخلق، ألا ترى أن الإنسان مثلاً مع كل ما أوتي من إمكانات لم يستطع أن يخلق شيئاً من عدم، فكيف نتصور خالق هذا الكون مخلوقاً.

إذا سرنا مع السائلين شوطاً عندما سألوا: من خلق الله ؟ فقلنا لهم غيره، ومن خلق غيره؟ غيره، ومن خلق الثالث؟ آخر. وماذا بعد ذلك؟ فإنه بالتالي لابد أن نصل في النهاية إلى ذات لا بداية لها ولا خالق، هذه الذات التي لا بداية لها ولا خالق هي الذات الإلهية، وكل جواب في الوسط لا معنى له في النهاية، فهناك خالق ومخلوق ولا يمكن أن يكون للخالق خالق.

وهنا ينبغي أن نوضح تورع جمهور المسلمين فيما يتعلق بالله فقالوا: .كل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك.. إذ أن كل ما خطر بالبال لا يمكن أن يكون مادياً محساً، وكمال الله يقتضي تنزيهه عن المادة وعلائقها. أما هؤلاء الذين قصر تفكيرهم فإنهم تخيلوا الله عز وجل على صورة رجل ضخم.

ولعل الكثير قد قرأ حكاية ذلك الرجل الساذج الذي حضر مجلساً من مجالس المعتزلة فسمعهم يتحدثون عن الله ويقولون: إنه سبحانه ليس بفوق،

ولا بتحت، ولا بيمين، ولا بشمال، ولا بخلف، ولا بأمام، وليس بمادة، ولا بعرض، فخرج ثائراً يعلن أن هؤلاء قوم يريدون أن يقولوا: إنه ليس في السماء إله، هذا الرجل الساذج لم يمكنه أن يتخيل موجوداً خالياً من المحسات ولم يمكنه أن يعقل ما لم يتخيله فاعتقد أن المعتزلة ينكرون الله.

ويقول محمد بن عبد الجبار عن الحق سبحانه وتعالى: يستدل به ولا يستدل عليه. فهو برهان كل شئ. لأنه الحق المطلق. ومن قصور النظر أن نطلق على الله برهاناً وأن نلتمس له الدليل من عالم البطلان. كما نستدل على النور من مجيء النهار مع أن النهار لم يطلع إلا بفعل النور.. فالنور هو الحق بذاته الذي يبرهن على نفسه بنفسه بمحض حضوره دون حاجة إلى وسائط.. وهو الذي يخرج الأشياء إلى عالم الظهور والعيان.. فالأشياء تعتمد عليه في ظهورها وهو لا يعتمد عليها في ظهوره فهو برهانها وهي لا تصلح أن تكون برهانه.

ولو سألنا قلوبنا عن الله لأغنتنا عن كل ذلك الجدل والتدليل. فهو حاضر في القلب مشهود للقلب على الدوام(١).

وما أكثر الأدلة إذا طلبنا الأدلة على وجود الله(٢).

ليس له تعريف لأنه مرجع جميع التعاريف. ولا يمكن إرجاعه هو إلى شئ. لا يحتويه الحرف ولا المعنى ولا الصورة ولا الشكل ولا الزمان ولا المكان فهو متعال على كل هذا وعلى كل ما نعلم. الظاهر والباطن. الظاهر فعله والباطن ذاته ولا نقول عنه إنه المظاهر. وتخطئ البوذية فتقول إن الله هو مجموع ما يبدو من مظاهر فتحصره في مجموع الصور المادية للكون وهذا مستحيل.

---

(١) مصطفى محمود: رأيت الله (القاهرة: دار المعارف، سنة ١٩٧٧م) ص: ١١- ١٢.

(٢) المرجع السابق، ص: ١٣.

ولننقل هنا قول البسطامي في معنى " الله أكبر " : يقول فيه أكبر من أن يقاس بالناس، أو يدخل تحت القياس، أو تدركه الحواس.

فإذا سئل الإنسان عن الاستواء. فالجواب: أن يقال ما قاله الرسول ﷺ. وقال الله تعالى. وقد صدق حيث قال سبحانه: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[١]. فيعلم قطعاً أنه ما أراد الجلوس والاستقرار، الذي هو صفة الأجسام، ولا ندري ما الذي أراده، ولم نكلف معرفته.

وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ ﴾[٢].

وفوقية المكان محالة، فإنه كان قبل المكان. فهو الآن كما كان. وما أراده فلسنا نعرفه، وليس علينا، ولا عليك أيها السائل معرفته[٣].

واسم " الله " : هو أعظم الأسماء لدلالته على الذات الجامعة لصفات الألوهية، ولا يطلق على غيره بمجاز، ولا بحقيقة، ولا يصح التعلق به إلا بعد التخلق بجميع الأسماء، والتقرب به في احتقار ما سواه حالاً، وتعظيم أمره كشفاً، وإسقاط الكون شهوداً، والفناء في الجميع استغراقاً، وتعلق الهمة به دائماً، ومراقبة الأنفاس سراً، وذكره ظاهراً وباطناً، إلى أن يستغرق السر في وجوده، ثم في حقيقة شهوده، فلا يرى غيره فيحرس عليه أحواله، ويحفظ من الأغيار أسراره.

إن مسألة إثبات وجود الله سبحانه وتعالى، ليست مشكلة دينية، لأن وجود الله سبحانه مركوز في الفطرة الإنسانية. إنه سبحانه سمي نفسه الظاهر. إنه ظاهر أينما وجه الإنسان بصره في الآفاق. وهو ظاهر إذا وجه الإنسان بصره في نفسه. ففي كل شئ له آية.

---

(١) سورة طه ، الآية: ٥ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية: ١٨ .

(٣) عبد لحكيم محمود: التفكير الفلسفي في الإسلام (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤م) ص: ١٠٥ .

قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[٢].

والواقع أن محاولة الاستدلال على وجود الله، إنما هي انحراف في الفطرة، وشذوذ في الطبائع.

إن الله تعالى واحد أحد فرد صمد في ذاته وصفاته لا مثيل له في ذاته ولا نظير له في صفاته ولا شريك له في ملكه ولا حدوث في صفاته ولا زوال ولا بداية لقدمه ولا نهاية لبقائه دائم الوجود ولا آخر له قيوم الموجودات لا انقطاع له لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الجلال والكمال لا نهاية لكبريائه ولا غاية لعظمته وجلاله ليس بجسم ولا جسماني ولا بروح ولا روحاني ولا بجوهر محدود ولا تحله الجواهر بل هو خالق الأشياء أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. منزه عن الحركة والانتقال والجهة والمكان وأنه تعالى قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد. قربه من الخلق ليس كقرب الخلق بعضهم من بعض بل هو قرب يليق به تعالى.

سئل الجنيد عن القرب فقال: قريب لا بالتلاق بعيد بلا افتراق ولا كيفية لقربه ومعيته كما أنه ليس كمثله شئ كذلك قربه ومعيته ليس كمعية أحد وقربه وأنه تعالى كان ولم يكن معه شئ وهو الآن على ما هو عليه.

واعلم يا عبد الله أن الحق سبحانه وتعالى يستحيل عليه أن يكون منفصلاً عن شئ أو أن يكون شئ منفصلاً عنه، أو يتصل بشئ أو يتصل به شئ ولا يدنو من شئ دنو حس، بل تنزه سبحانه وتعالى عن جميع صفات الحوادث، إذا علمت ذلك فاعلم أن ما كان متشابهاً من الآيات والأحاديث النبوية فللعلماء

---

(١) سورة فصلت ، الآية: ٥٣ .

(٢) سورة الذاريات ، الآية: ٢١ .

فيها رأيان: السلف يؤمنون به مع صرف ظاهره عما لا يليق بالحق سبحانه وتعالى والخلف يؤلون[1].

ولقـد كـان رسول الله ﷺ مأموراً بأن يخاطب الناس على قدر عقولهم واستعدادهم، كما يشهد لذلك قوله للجارية التي أراد سيدها عتقها عن الكفارة، وشكوا فـي إسـلامها: «أين الله؟ فقالت: في السماء أو أشارت إلى أنه في السـماء. فقال ﷺ مؤمنة ورب الكعبة.. فأقرها على قولها في السماء، وإن كـان ظاهر حالها أنها قصدت التحيز للحق المنزه تبارك وتعالى عنه، وفي القرآن العظيم: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾[2].

فوافقت الجارية بعض ما أشار إليه القرآن، وإن كان المعنى الحق في ذلك الإشارة إلى أنه تعالى لا يتحيز، أي فكما هو في السماء كذلك هو في الأرض على حد سواء، ولذلك قال ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد». أي فكما يطلبه العبد في جهة العلو كذلك ينبغي أن يطلبه في جهة السفل، فالسفل للحق تعالى كالعلو من حيث المكانة لا المكان، لأن كل جهة طلب الحق منها فهي عروج، وإن كانت في السفليات[3].

فعلم أن رسول الله ﷺ ما سئل الجارية بالأينية المستحيلة في حق الله تعالى إلا لعلمه بقصور عقلها عن التنزيه المحض عن مثل ذلك، فكان من حكمته ﷺ أن يتنزل لعقلها، ولو أنه ﷺ كان خاطبها بغير ما تصورته في نفسها لارتفعت القاعدة المطلوبة، ولم يحصل القبول، لكن لما أقرها ﷺ على قولها أنه في السماء، وبانت حكمته ﷺ وقوة علمه، علمنا أنه ليس في قوة هذه الجاريـة أن تعقل خالقها إلا على قدر ما تصورتـه في نفسها، فكان من

(١) صالح الجعفري: المعاني الرقيقة على الدرر الدقيقة، ص: ٢٨ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية: ٣ .

(٣) الشعراني: لطائف المنن والأخلاق، ص: ٧١ .

حكمته ﷺ أن سألها بهذه العبارة السابقة، ولذلك قال: إنها مؤمنة، أي مصدقة بوجود الله تعالى في السماء، دون قوله إنها عالمة لأن العلم هو معرفة المعلوم على ما هو عليه، وتعالى الله عن التحيز في جهة الفوق دون السفل[1].

فإذا قال قائل: كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا؟ قيل له: كيف هو؟ فإذا قال: لا أعلم كيفيته. قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله؛ إذ العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له وتابع له.

إن الله تعالى إله واحد لا ثاني له منزه عن الصاحبة والولد، مالك لا شريك له، ملك لا وزير له، صانع لا مدبر معه، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده بل كل موجود مفتقر إليه في وجوده، فالعالم كله موجود به، وهو تعالى موجود بنفسه لا افتتاح لوجوده ولا نهاية لبقائه بل وجوده مطلق قائم بنفسه ليس بجوهر فيقدر له مكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء، مقدس عن الجهات والأقطار، مرئي بالقلوب والأبصار، استوى على العرش كما قال وعلى المعنى الذي أراده، كما أن العرش وما حواه به استوى، وله الآخرة والأولى، ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول، لا يحده زمان ولا يحويه مكان بل كان ولا مكان وهو الآن على ما عليه لأنه خلق المتمكن والمكان وأنشأ الزمان وقال أنا الواحد الحي الذي لا يؤده حفظ المخلوقات ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها من صفة المصنوعات تعالى الله أن تحله الحوادث أو يحلها أو تكون قبله أو يكون بعدها بل يقال كان ولا شئ معه إذ القبل والبعد من صيغ الزمان الذي أبدعه فهو القيوم الذي لا ينام والقهار الذي لا يرام ليس كمثله شئ وهو السميع البصير. خلق العرش وجعله حد الاستواء وأنشأ الكرسي وأوسعه الأرض والسماء، اخترع اللوح والقلم الأعلى وأجراه كما يشاء بعلمه في خلقه

---

(١) الشعراني: لطائف المنن والأخلاق، ص: ٧٢ .

إلى يوم الفصل والقضاء، أبدع العالم كله على غير مثال سبق، وخلق الخلق وأقسم بالذي خلق، أنزل الأرواح في الأشباح أمناء وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلفاء وسخر لها ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، فلا تتحرك ذرة إلا به وعنه، خلق الكل من غير حاجة إليه ولا موجب أوجب ذلك عليه لكن علمه سبق فلابد أن يخلق ما خلق، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شئ قدير أحاط بكل شئ علماً وأحصى كل شئ عدداً يعلم السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، كيف لا يعلم شيئاً هو خلقه، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، علم الأشياء قبل وجودها ثم أوجدها على حد ما علمها، فلا يزل عالماً بالأشياء، لم يتجدد له علم عند تجدد الإنشاء يعلمه، أتقن الأشياء وأحكمها وبه حكم عليها من شاء وحكمها علم الكليات على الإطلاق كما علم الجزئيات بإجماع من أهل النظر والاتفاق، فهو عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون[1].

فعال لما يريـد، فهو المدبر للكائنات في عالـم الأرض والسموات، لم تتعلق قدرته تعالى بإيجاد شئ حتى أراده، كما أنه لم يرده حتى علمه، إذ يستحيل في العقل أن يريد مالا يعلم أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل مالا يريده، كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق من غير حي، كما يستحيل أن تقوم هذه الصفات بغير ذات موصوفة بها، فما في الوجود طاعة ولا عصيان، ولا ربح ولا خسران، ولا عبد ولا حر، ولا برد ولا حر، ولا حياة ولا موت، ولا حصول ولا فوت، ولا نهار ولا ليل، ولا اعتدال ولا ميل، ولا بر ولا بحر، ولا شفع ولا وتر، ولا جوهر ولا عرض، ولا صحة ولا مرض،

(١) الشعراني: اليواقيت والجواهر (القاهرة: مطبعة الحلبي، الطبعة الأخيرة، سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م) ج١ ص: ٤– ٥ .

ولا فرح ولا ترح، ولا روح ولا شبح، ولا ظلام ولا ضياء، ولا أرض ولا سماء، ولا تركيب ولا تحليل، ولا كثير ولا قليل، ولا غداة ولا أصيل، ولا بياض ولا سواد، ولا سهاد ولا رقاد، ولا ظاهر ولا باطن، ولا متحرك ولا ساكن، ولا يابس ولا رطب، ولا قشر ولا لب، ولا شئ من المتضادات والمختلفات والمتماثلات إلا وهو مراد للحق تعالى(١).

وكيف لا يكون مراداً له وهو أوجده؟ فكيف يوجد المختار مالا يريد لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لو اجتمع الخلائق على أن يريدوا شيئاً لم يرده الله تعالى لهم أن يريدوه ما أرادوه، أو أن يفعلوا شيئاً لم يرد الله إيجاده وأرادوه ما فعلوه ولا استطاعوا ذلك ولا أقدرهم عليه(٢).

فالكفر والإيمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وإرادته ولم يزل سبحانه وتعالى موصوفاً بهذه الإرادة أزلاً والعالم معدوم، ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدبر عن جهل فيعطيه التدبر والتفكر علم ما جهل جل وعلا عن ذلك بل أوجده عن العلم السابق وتعيين الإرادة المنزلة الأزلية القاضية على العالم بما أوجده عليه من زمان ومكان وأكوان وألوان، فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه إذ هو القائل سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾(٣).

وأنه تعالى كما علم فأحكم وأراد فخص وقدر فأوجد، كذلك سمع ورأى ما تحرك، أو سكن أو نطق في الورى من العالم الأسفل والأعلى، لا يحجب سمعه البعد فهو القريب، ولا يحجب بصره القرب فهو البعيد، يسمع كلام النفس في النفس وصوت الماسة الخفية عن اللمس ، يرى سبحانه وتعالى

(١) الشعراني: اليواقيت والجواهر، ج١، ص: ٥ .

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) سورة الإنسان ، الآية: ٣٠ .

السواد في الظلماء والماء في الماء، لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور، وهو السميع البصير، تكلم سبحانه وتعالى لا عن صمت متقدم ولا سكون متوهم بكلام قديم أزلي كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته، كلم به موسى عليه السلام، سماه التنزيل والزبور والتوراة والإنجيل والفرقان من غير تشبيه ولا تكييف، فكلامه سبحانه وتعالى من غير لهاة ولا لسان، كما أن سمعه من غير ضمخة ولا آذان، كما أن بصره من غير حدقة ولا أجفان، كما أن إرادته من غير قلب ولا جنان، كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان، كما أن حياته من غير نجار تحريف قلب حدث عن امتزاج الأركان، كما أن ذاته لا تقبل الزيادة والنقصان(١).

فسبحانه سبحانه من بعيد دان عظيم السلطان عميم الإحسان جسيم الامتنان. كل ما سواه فهو عن جوده فائض وفضله وجوده، وعدله الباسط له والقابض، أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه، لا شريك له في ملكه ولا مدبر معه فيه، إن أنعم نعم فذلك فضله، وإن أبلى فعذب فذلك عدله، لم يتصرف في ملك غيره فينسب إلى الجور والحيث ولا يتوجه عليه لسواه حكم فيتصف بالجزع لذلك والخوف، كل ما سواه فهو تحت سلطان قهره ومتصرف عن إرادته وأمره، فهو الملهم نفوس المكلفين التقوى والفجور، وهو المتجاوز عن سيئات من شاء هنا وفي يوم النشور، لا يحكم عدله في فضله، ولا فضله في عدله، أخرج العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين فقال هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي، ولم يعترض عليه معترض هناك، إذ لا موجود كان ثم سواه، فالكل تحت تصريف أسمائه، فقبضة تحت أسماء بلائه، وقبضة تحت أسماء آلائه، ولو أراد الله سبحانه أن يكون العالم كله سعيداً لكان أو شقياً لما كان في ذلك من شأنه، لكنه سبحانه وتعالى لم

---

(١) الشعراني: اليواقيت والجواهر، ص: ٥- ٦ .

يرد فكان كما أراد، فمنهم الشقي والسعيد هنا وفي يوم المعاد، فلا سبيل إلى تبديل ما حكم عليه. وقال تعالى: هن خمس وهن خمسون ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد لتصرفي في ملكي وإنفاذ مشيئتي في ملكي وذلك لحقيقة عميت عنها البصائر ولا تعثر عليها الأفكار ولا الضمائر إلا بوهب إلهي وجود رحماني لمن اعتنى الله تعالى به من عباده، وسبق له ذلك في حضرة إشهاده، فعلم حين أعلم أن الألوهية أعطت هذا التقسيم وأنها من دقائق القديم[1].

فسبحان من لا فاعل سواه ولا موجد بذاته إلا إياه. والله خلقكم وما تعملون ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون، فلله الحجة البالغة ولو شاء لهداكم أجمعين.

إن الشخص إذا كان مؤمناً بالقرآن قاطعاً بأنه كلام الله تعالى: فالواجب عليه أن يأخذ عقيدته منه من غير تأويل ولا عدول إلى أدلة العقول مجردة عن الشرع. فإن القرآن دليل قطعي سمعي عقلي فقد أثبت سبحانه وتعالى أنه منزه عن أن يشبهه شئ من المخلوقات أو يشبه هو شيئاً منها بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[2]. وبقوله تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3]. ونحوهما من الآيات، وأثبت رؤيته تعالى للمؤمنين في الآخرة بقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[4]. وبمفهوم قوله تعالى في الكفار: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[5]. فدل على أن المؤمنين يرونه ولا يحجبون عنه وأثبت نفي الإحاطة بقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[6]. وبقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾[7]. وأثبت كونه تعالى قادراً عالماً بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[8]. وأثبت

(١) الشعراني: اليواقيت والجواهر، ص: ٦ .

(٢) سورة الشورى ، الآية: ١١ .

(٣) سورة الصافات ، الآية: ١٨٠ .

(٤) سورة القيامة ، الآيتان: ٢٢- ٢٣ .

(٥) سورة المطففين ، الآية: ١٥ .

(٦) سورة الأنعام ، الآية: ١٠٣ .

(٧) سورة فصلت ، الآية: ٥٤ .

(٨) سورة الملك ، الآية: ١ .

كونه تعالى عالماً بقوله: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[1]. وأثبت كونه تعالى مريداً للخير والشر بقوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[2]. وبقوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[3]. وأثبت كونه تعالى سميعاً لخلقه بقوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَـٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾[4]. وأثبت كونه تعالى بصيراً بأعمال عباده بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[5]. وبقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[6]. وأثبت كونه تعالى متكلماً بقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[7]. وأثبت كونه تعالى حياً بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[8]. وأثبت رسالة الرسل بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾[9]. وأثبت رسالة محمد ﷺ بقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[10]. وأثبت أنه ﷺ آخر الأنبياء بعثاً بقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[11]. وأثبت أن كل ما سواه خلقه بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[12]. وأثبت الجن بقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[13]. وأثبت الجن يدخلون الجنة بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾[14]. وأثبت حشر الأجساد بقوله تعالى: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾[15]. إلى أمثال ذلك مما هو مذكور من الأدلة الصحيحة في كتب العقائد كوجوب الإيمان بالقضاء والقدر والميزان والحوض والصراط والحساب وتطاير الصحف وخلق الجنة والنار. قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾[16].

---

(1) سورة الطلاق ، الآية: ١٢ .
(2) سورة هود ، الآية: ١٠٧ .
(3) سورة فاطر ، الآية: ٨ .
(4) سورة المجادلة ، الآية: ١ .
(5) سورة آل عمران ، الآية: ١٥٦ .
(6) سورة العلق ، الآية: ١٤ .
(7) سورة النساء ، الآية: ١٦٤ .
(8) سورة البقرة ، الآية: ٢٥٥ .
(9) سورة يوسف ، الآية: ١٠٩ .
(10) سورة الفتح ، الآية: ٢٩ .
(11) سورة الأحزاب ، الآية: ٤٠ .
(12) سورة الزمر ، الآية: ٦٢ .
(13) سورة الذاريات ، الآية: ٥٦ .
(14) سورة الرحمن ، الآية: ٥٦ .
(15) سورة العاديات ، الآية: ٩ .
(16) سورة الأنعام ، الآية: ٣٨ .

وأثبت المعجزة لنبينا محمد ﷺ بقوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[1].
فإن القرآن الكريم كله معجزته ﷺ.

وانظر يا أخي إلى نبينا ﷺ لما قال له اليهود انسب لنا ربك كيف تلا عليهم سورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[2]. ولم يقل لهم من أدلة النظر دليلاً واحداً.
فقوله تعالى ، الله أحد ، : أثبت الوجود للأحد ونفى التعدد وأثبت الوحدانية لله تعالى وحده لا شريك له. وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[3]: نفي الجسمية. وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[4]: نفي الوالد والولد. وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[5]: نفي الصاحبة والشريك.

أفيطلب صاحب الدليل العقلي البرهان على صحة هذه المعاني بالعقل بعد ثبوتها بالدليل القطعي أن ذلك من الجهل العظيم[6].

قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾[7].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[8].

فلم يجعل الحق سبحانه وتعالى علم من لم يخشه من العلماء علماً.

ومن كلام أبي مدين رضي الله عنه: اجعل الحق مقصدك ووجهتك.

ويقول هذه الكلمة التي تحتوي على إشارات هي غاية السلامة والصدق: من عرف أحداً لم يعرف الأحد، والحق ما بان عنه أحد من حيث العلم والقدرة، ولا أتصل به أحداً من حيث الذات والصفات.

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ٢٣ .

(٢) سورة الإخلاص ، الآية: ١ .

(٣) سورة الإخلاص ، الآية: ٢ .

(٤) سورة الإخلاص ، الآية: ٣ .

(٥) سورة الإخلاص ، الآية: ٤ .

(٦) اليواقيت والجواهر، ج١، ص: ٢٣ .

(٧) سورة آل عمران ، الآية: ١٨ .

(٨) سورة فاطر ، الآية: ٢٨ .

تقر العقيدة الإسلامية أن هناك ألوهية وعبودية. ألوهية يتفرد بها الله سبحانه وتعالى. كما تقرر تفرد الله سبحانه وتعالى بخصائص الألوهيته، وتجرد العبيد من هذه الخصائص.. ومن ثم ترتب على هذا التصور كل مقتضياته وكل نتائجه في الحياة الإنسانية[١].

فالله سبحانه وتعالى واحد في ذاته، متفرد في كل خصائصه. ويوصف الله بأنه ، أحد ، . وكلمة أحد أبلغ في الدلالة على الوحدة من كلمة واحد. فأحدية الله لا تركيب فيها بوجه من الوجوه. إنها ليست كواحدية الإنسان الذي يتركب من أعضاء ووحدات[٢].

والأحدية أخذت من الأحد،والأحد هو الله سبحانه وتعالى.ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[٣]. والفرق بين الأحد والواحد من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن الواحد يدخل في الأحد، والأحد لا يدخل في الواحد.

الوجه الثاني: أنك إذا قلت فلانا لا يقاومه واحد جاز أن يقال ولكنه يقاومه اثنان.

الوجه الثالث: أن الواحد يستعمل في الإثبات، والأحد يستعمل في النفي، نحو ما رأيت أحد يفيد العموم[٤].

وقوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[٥]. وفي هذه الآية توضح فكرة الإسلام في مقابل فكرة التعدد على أي وضع كانت.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾[٦].

---

(١) سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته (القاهرة: دار الشروق، الطبعة الخامسة، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ص:١٨٧.

(٢) عبد الحليم محمود: القرآن والنبي (القاهرة: دار المعارف، سنة ١٩٧٩م) ص: ٩٧.

(٣) سورة الإخلاص ، الآية: ١.

(٤) عبد العزيز الديريني: طهارة القلوب والخضوع إلى علام الغيوب (القاهرة: عالم الفكر، سنة ١٣٩١هـ) هامش ص: ٢٩.

(٥) سورة الإخلاص ، الآية: ١.

(٦) سورة المائدة ، الآية: ٧٣.

ويوضح القرآن الكريم في أكثر من آية أن الله سبحانه وتعالى واحد في ذاته، متفرد في كل خصائصه.

منها قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ ﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ ﴾[7].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾[8].

وقوله تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾[9].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[10].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ ﴾[11].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[12].

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٢.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٤.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٢.

(٧) سورة المائدة، الآية: ١٧.

(٨) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(٩) سورة فاطر، الآية: ٣.

(١٠) سورة العنكبوت، الآية: ٦١.

(١١) سورة هود، الآية: ٦.

(١٢) سورة فاطر، الآية: ٤١.

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ * وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾(٢).

فالله تبارك وتعالى ذات واحد، قائم بنفسه، منفرد عن غيره بقدمه، متوحد عن سواه بربوبيته، لا يمازجه شئ، ولا يخالطه غير، ولا يحويه مكان، ولا يدركه زمان، ولا تقدره فكرة، ولا تصوره خطرة، ولا تعتريه فترة.

واعلم أنه يجب على كل عاقل أن يعتقد أن الله منزه عن كل ما يليق به فيعتقد أنه تعالى ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدور وأنه تعالى لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا قبول الانقسام وأنه تعالى لا تحله الجواهر ليس كمثله شئ ولا هو مثل شئ وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون والسموات وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواءً منزهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد.

ومما يقرب من هذا المعنى ما رواه الأئمة الأربعة في هذا الصدد:

سئل أبو حنيفة عن الاستواء، فقال: من قال لا أعرف الله في السماء أم في الأرض فقد كفر لأن هذا القول يوهم أن للحق مكاناً فهو مشبه.

---

(١) سورة الروم، الآيات: ٢٥، ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة يس، الآية: ١٢.

ودخل رجل على الإمام مالك فسأله عن قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[1]. كيف استوى؟ فأطرق رأسه ملياً وعلاه الرحضاء ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ولا أظنك إلا ضال ثم أمر به فأخرج.

وسئل الشافعي عن الاستواء، فقال: استوى بلا تشبيه، وصدقت بلا تمثيل، واتهمت نفسي في الإدراك، وأمسكت عن الخوض في ذلك كل الإمساك.

وسئل الإمام أحمد عن الاستواء، فقال: استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر.

فمن المعلوم أن الله تعالى منزه عن الجهات وعن جميع المخلوقات، يدل على التنزيه في قصة الإسراء والمعراج وأنه ما كان لقطع المسافات فيما بينه ﷺ وبين الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾[2]. فمن ذلك:

(١) افتتاح السورة بـ "سبحان الذي أسرى": المقتضي للتنزيه تنبيهاً على عدم تحيزه ونفي اختصاصه بجهة[3].

(٢) قوله تعالى "أسرى بعبده": فأتى بالباء المفيدة للمصاحبة تنبيهاً على مصاحبته تعالى له في حال إسرائه وأنه ليس نائياً ولا بعيداً عنه فيحتاج في قربه إلى قطع مسافة مكانية.

وقد قال ﷺ: "اللهم أنت الصاحب في السفر".

(٣) قوله تعالى "بعبده": تنبيهاً على أنه على حسب التحقق بخضوع العبودية

---

(١) سورة طه، الآية: ٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٣) يوسف الدجوي: كلمات في التنزيه بمناسبة الإسراء والمعراج، مقال منشور بمجلة الإسلام، العدد ٢٩، سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، ص: ١٦.

يكون الترقي إلى حضرة الربوبية لا بقطع المسافات أو كثرة الحركات.

(٤) قوله تعالى «ليلاً»: وإن كان لفظ الإسراء مفيداً لذلك تنبيهاً على أن كل ما تضمنه الإسراء كان خارجاً عن العادة في مثله.

فإنه جعل العلة فيه أن يريه من آياته والإراءة العادية سلطانها النهار، فقال «ليلاً» ليعلم أن الرؤية المقصودة ليست عادية بل هي رؤية أريها بنور رباني سلطان موسمه الليل دون النهار.

(٥) قوله تعالى «من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى»: تنبيه على أن الإسراء لو كان لضرورة رؤية ربه لكونه مخصوصاً بجهة العلو لم يكن حاجة بالذهاب إلى المسجد الأقصى ولأمكن الترقي من مكة إلى السماء. فدل على أن الإسراء والترقي من مكان إلى مكان لحكمة وراء ما زعم مثبت الجهة من المشبهة وأذيال المشبهة.

وفي ذلك إشارة إلى أن العبد لا يصل إلى الله تعالى إلا فرداً تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾[1].

ولا تتحقق له الفردية إلا بعد مفارقة الحوادث وتجرده عنها. فهناك يصل إلى حضرة ربه تعالى وصولاً لا يشبه وصول الأجسام.

وقد جاء الكتاب العزيز بالتنبيه على أن حضرة عنديته وراء دوائر السموات والأرض حيث قال تعالى: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ ﴾[2]. فعطف من عنده على من في السموات والأرض والعطف يقتضي المغايرة.

وقد قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لو دلى أحدكم بحبل في بئر لوقع على الله»[3].

فنبه ﷺ عدم تميزه في السماء وأنه ليس مختصاً بجهة هذا.

---

(١) سورة مريم، الآية: ٩٥.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٩.

(٣) رواه الترمذي في سننه.

وإذا أردت مزيد التبصر في أن الإسراء وعروج الملائكة ورفع عيسى وإدريس صلى الله عليهم وسلم إلى السماء لا يدل على أن الله تعالى مخصوص بجهة السماء فاعتبر فرض الحج على العباد إلى البيت الحرام وأمر الله تعالى إلينا بالتوجه إليه من جميع الجهات وجعل سكانه جيران الله تعالى وحجاجه وفده وضيفانه، والحجر الأسود يمينه فماذا تفهم من كون الكعبة بيت الله وكون الحجر الأسود يمينه ؟

أظنك لا تعدو به التمثيل وبيان الاعتناء بزائريه الذين جعلهم ضيوفه وطلب منهم تقبيل الحجر ليكون بمنزلة تقبيل يمين الملك. إلى آخر لا تسعه هذه العجالة.

ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ﴾(١).
وقد قال تعالى: ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾(٢).

ولكن إذا كان المقصود بالسياق تحذير أهل الأرض وتفخيم الأمر جاء التعبير بمن في السماء فإن مظاهره السماوية هي المشاهدة بالبصر وهي أجل وأعظم في النفوس من مظاهر الأرض.

وأما تنزيل التدبير وعروج المشار إليه بمثل قوله: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾(٣) فلكون السماء محل التصريف والفعل والأرض محل القابلية والانفعال، فهو كما قال بعض العارفين عروج روحاني وسر رحماني وكشف عرفاني.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾(٤).

وقال ﷺ: اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ.(٥).

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.
(٢) سورة النحل، الآية: ٥١.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ١٢.
(٤) سورة الحديد، الآية: ٣.
(٥) أخرجه مسلم في حديث أوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر إذا أخذنا مضجعنا أن نقوله.

إن معرفة الصانع عز وجل بالآيات والدلالات على وجه الاختصار، فهي أن يعرف ويتيقن أنه واحد فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(١).

لا شبيه له ولا نظير، ولا عون له ولا شريك، ولا ظهير ولا وزير، ولا ند ولا مشير له، ليس بجسم فيمسّ ولا بجوهر فيحسّ، ولا عرض فيقضى، ولا ذي تركيب أو آلة وتأليف، وماهية وتحديد، وهو الله للسماء رافع وللأرض واضع، لا طبيعة من الطبائع ولا طالع من الطوالع، ولا ظلمة تظهر ولا نور يزهر، حاضر للأشياء علماً شاهد لها من غير مماسة، عزيز قاهر حاكم قادر، راحم غافر،، ساتر معزّ ناصر، رءوف خالق فاطر، أول آخر، ظاهر باطن، فرد معبود، حيّ لا يموت، أزلي لا يفوت، أبدي الملكوت، سرمدي الجبروت، قيوم لا ينام، عزيز لا يضام، منيع لا يرام، فله الأسماء العظام والمواهب الكرام، قضى بالفناء على جميع الأنام. فقال: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾(٢).

وهو بجهة العلو مستوٍ على العرش محتوٍ على الملك محيط علمه بالأشياء، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه. ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾(٣).

خلق الخلائق وأفعالهم وقدّر أرزاقهم وآجالهم، لا مقدم لما أخر، ولا مؤخر لما قدّم، أراد العالم وما هم فاعلوه ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه، يعلم السّر وأخفى، عليم بذات الصدور. ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(٤).

---

(١) سورة الشورى ، الآية: ١١ .

(٢) سورة الرحمن ، الآيتان: ٢٦- ٢٧ .

(٣) سورة السجدة ، الآية: ٥ .

(٤) سورة الملك ، الآية: ١٤ .

هو المحـــرك هو المسكن، لم تتصوّره الأوهام ولا تقــدره الأذهان، ولا يقاس بالناس، جلّ أن يشبَّه بما صنعه، أو يضاف إلى ما اخترعه وابتدعه، محصي الأنفاس، القائم على كل نفس بما كسبت. قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾(١). وقال تعـــالى: ﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴾(٣).

غني عن خلقه، رازق لبريته، يُطعِم ولا يُطعَم، يرزق ولا يُرزق، يجير ولا يجار عليه، الخليقة مفتقرة إليه، لا يخلقهم لاجتناب نفع ولا دفع ضرر، ولا لداع دعاه إليه، ولا لخاطر له وفكر حدث، بل إرادة مجرّدة كما قال وهو أصدق القائلين: قال تعالى: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾(٤).

متفرد بالقدرة على اختراع الأعيان، وكشف الضرّ والبلوى وتقليب الأعيان وتغيير الأحوال. قال تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾(٥). يسوق ما قدر إلى ما وقت، وإنه تعالى حيّ بحياة، وعالم بعلم، وقادر بقدرة، ومريد بإرادة، وسميع بسمع، وبصير ببصر، ومدرك بإدراك، ومتكلم بكلام، وآمر بأمر، وناه بنهي، ومخبر بخبر، وأنه تعالى عادل في حكمه وقضائه، ومحسن متفضل في عطائه وإنعامه، مبدئ ومعيد محيي ومميت، محدث وموجد، مثيب ومعاقب، جواد ولا يبخل، حليم لا يعجل، حفيظ لا ينسى، يقظان لا يسهو، لا يعتريه نوم ولا يغفل، يقبض ويبسط، يضحك ويفرح، يحب ويكره، يبغض ويرضي، ويغضـــب ويسخط، يرحم ويغفر، يعطي ويمنـــع، له يدان وكلتا يديه يمين، قال جل وعلا: ﴿ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾(٦).

---

(١) سورة مريم ، الآيتان: ٩٤- ٩٥ .
(٢) سورة طه ، الآية: ١٥ .
(٣) سورة النجم ، الآية: ٣١ .
(٤) سورة البروج ، الآيتان: ١٥- ١٦ .
(٥) سورة الرحمن ، الآية: ٢٩ .
(٦) سورة الزمر ، الآية: ٦٧ .

وروي عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قرأ رسول الله ﷺ على المنبر ﴿ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾[1]. وقال: تكون في يمينه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة، ثم يقول: أنا العزيز، قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يتحرك على المنبر حتى يسقط.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يقبض الأرضين والسموات جميعاً فلا يرى طرفهما من قبضته.

وعن أنس بن مالك عن ابن عباس رضي الله عنهم عن النبي ﷺ أنه قال: « المقسطون يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ».

وخلق آدم عليه السلام بيده على صورته، وغرس جنة عدن بيده، وغرس شجرة طوبى بيده، وكتب التوراة بيده، وناولها موسى من يده إلى يده، وكلمه تكليماً من غير واسطة ولا ترجمان، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ويوعيها ما أراد، والسموات والأرض يوم القيامة في كفه، كما جاء في الحديث.

وينظر أهل الجنة في وجهه ويرونه لا يضامون في رؤيته ولا يضارّون، كما جاء في الحديث يتجلى لهم ويعطيهم ما يتمنون.

وقال عز من قائل: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[2].

قيل: الحسنى: هي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجهه الكريم.

وقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[3].

ويعرض عليه العباد يوم الفصل والدين، يتولى حسابهم بنفسه ولا يتولى ذلك غيره، وإن الله تعالى خلق سبع سموات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين

---

(1) سورة الزمر ، الآية: ٦٧ .

(2) سورة يونس ، الآية: ٢٦ .

(3) سورة القيامة ، الآيتان: ٢٢- ٢٣ .

بعضها أسفل من بعض، ومن الأرض العليا إلى السماء الدنيا خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام، والماء فوق السماء السابعة، وعرش الرحمن فوق الماء، والله تعالى على العرش، ودونه سبعون ألف حجاب من نور وظلمة، وما هو أعلم به، وللعرش حملة يحملونه، قال الله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ ﴾[1]. وللعرش حدّ يعلمه الله.

وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ ﴾[2].

وهــو من ياقوته حمراء، وسعته كسعة السموات والأرضين، والكرسي عند العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وهو جلّ وعلا يعلم ما في السموات ومــا بينهن وما تحتهن، وما في الأرضين وما تحتهن وما بينهن، وما تحت الــثرى، وما في قعر البحار، ونبت كل شعرة وكل شجرة وكل زرع ينبت، ومســقط كل ورقة، وعدد ذلك كله، وعدد الحصى والرمل والتراب ومثاقيل الجبال ومكاييل البحار وأعمال العباد وأسرارهم وأنفاسهم وكلامهم، ويعلم كل شــئ لا يخفــى عليه شئ من ذلك، وهو منزه عن مشابهة خلقه، ويخلو من علمــه مكــان، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال: أنه في السماء على العرش، كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾[5].

والنبي ﷺ حكم بإسلام الأمَة لما قال لها أين الله؟ فأشارت إلى السماء.

وقال النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لما خلق الله الخلق

---

(١) سورة غافر، الآية: ٧.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧٥.

(٣) سورة طه، الآية: ٥.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

(٥) سورة فاطر، الآية: ١٠.

كتب كتاباً على نفسه وهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي.

وفي لفظ آخر: لما قضى الله سبحانه الخلق كتب على نفسه في كتاب فهو عنده فوق العرش. إن رحمتي سبقت غضبي.[١].

وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وإنه استواء الذات على العرش لا على معنى القعود والمماسة كما قالت المجسمة والكرامية، ولا على معنى العلو والرفعة كما قالت الأشعرية، ولا على معنى الاستيلاء والغلبة كما قالت المعتزلة، لأن الشرع لم يرد بذلك ولا نقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح من أصحاب الحديث ذلك، بل المنقول عنهم حمله على الإطلاق.

وقد روي عن أم سلمة زوج النبي ﷺ في قوله عز وجل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٢]. قالت: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به واجب، والجحود به كفر[٣].

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قبل موته بقريب: أخبار الصفات تمر كما جاءت بلا تشبيه ولا تعطيل.

وقال أيضاً في رواية بعضهم لست بصاحب كلام ولا أرى الكلام في شئ من هذه إلا ما كان في كتاب الله عز وجل أو حديث عن النبي ﷺ أو عن أصحابه رضي الله عنهم، أو عن التابعين فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود. فلا يقال في صفات الربّ عز وجل كيف ؟ ولم ؟ لا يقول ذلك إلا شكاك.

وقال أحمد رحمه الله في رواية عنه في موضع آخر: نحن نؤمن بأن الله

---

(١) الجيلاني: الغنية، ج١، ص: ٥٦ .

(٢) سورة طه ، الآية: ٥ .

(٣) أسنده مسلم بن الحجاج عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم في صحيحه، وكذلك في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

عز وجل على العرش كيف شاء وكما شاء، بلا حد ولا صفه يبلغها واصف أو يحدّه حاد، لما روي عن سعيد بن المسيب عن كعب الأحبار قال: قال الله تعالى في التوراة: أنا الله فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي عليه أدبر عبادي، ولا يخفى عليّ شئ من عبادي.

وكونه عز وجل على العرش منكور في كل كتاب أنزل على نبي أرسل بلا كيف، ولأن الله تعالى فيما لم يزل موصوف بالعلوّ والقدرة، والاستيلاء والغلبة على جميع خلقه من العرش وغيره، فلا يحمل الاستواء على ذلك؛ فالاستواء من صفات الذات بعد ما أخبرنا به ونصّ عليه وأكده في سبع آيات من كتابه، والسنة المأثورة به وهو صفة لازمة له ولائقة به، كاليد والوجه والعين والسمع والبصر والحياة والقدرة، وكونه خالقاً ورازقاً ومحيياً ومميتاً موصوف بها، ولا تخرج من الكتاب والسنة فقرأ الآية والخبر ونؤمن بما فيهما، ونقل الكيفية في الصفات إلى الله عز وجل. كما قال سفيان بن عيينه رحمه الله كما وصف الله تعالى نفسه في كتابه، فتفسير قراءته لا تفسير له غيرها، ولم نتكلف غير ذلك فإنه غيب لا مجال للعقل في إدراكه، ونسأل الله تعالى العفو والعافية ونعوذ به من أن نقول فيه وفي صفاته ما لم يخبرنا به هو أو رسوله عليه الصلاة والسلام.

وأنه تعالى ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء وكما شاء، فيغفر لمن أذنب وأخطأ وأجرم وعصى لمن يختار من عباده ويشاء، تبارك وتعالى العلي الأعلى، لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، لا بمعنى نزول الرحمة وثوابه على ما ادعته المعتزلة والأشعرية، لما روى عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من سائل فيعطى

سؤاله، هل من مستغفر فيغفر له، هل من عان فيفك عانيته، حتى يصلى الصبح، ثم يعلو ربنا تبارك وتعالى..

وفي رواية أخرى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: .ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: ألا عبد من عبادي دعوني فأستجيب له، ألا ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له، ألا مقتر عليه رزقه يدعوني فأستجلب له رزقه، ألا مظلوم يذكرني فأنصره، ألا عان يدعوني فأفكه؟ قال: فيكون كذلك إلى أن يطلع الصبح ويعلو على كرسيه..

وقد روي هذا الحديث بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة وجابر وعليّ رضي الله عنهم. وعن ابن مسعود وأبي الدرداء وابن عباس وعائشة رضوان الله عليهم عن رسول الله ﷺ، ولهذا كانوا يفضلون صلاة آخر الليل عن أوله.

وروى أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: .ينزل الله عز وجل في ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا، فيغفر لكل نفس، إلا لإنسان في قلبه شحناء أو شرك بالله عز وجل..

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: .إن الله عز وجل إذا ذهب شطر الليل الأول ينزل إلى سماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى ينشق الفجر..

وقيل لإسحاق بن راهوية: ما هذه الأحاديث التي تحدث بها أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا، والله يصعد ويتحرك، قال للسائل: تقول أن الله تعالى يقدر على أن الله تعالى ينزل ويصعد ولا يتحرك؟ قال: نعم، قال: فلم تنكره؟

وقال يحيى بن معين: إذا قال لك الجهمي كيف ينزل؟ فقل له: كيف صعد ؟

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: إذا قال لك الجهمي: أنا كافر برب ينزل، فقل له: أنا مؤمن برب يفعل ما يشاء[1].

وقد قيل: كل من لا يعرف الله في الدنيا لا يراه في الآخرة، وكل من لا يجد لذة المعرفة في الدنيا لا يجد لذة النظر في الآخرة.. ولا يحصد أحد إلا ما زرع، ولا يحشر المرء إلا على ما مات عليه، إن نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى، وحب الله تعالى بقدر معرفته، فأصل السعادة هي المعرفة التي عبر عنها الشرع بالإيمان[2].

ولما سئل أبو سعيد الخراز: بم عرفت الله؟ فقال: بجمعه بين الضدين. ثم تلا قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[3].

ويحدثنا الحلاج من ساحة ذوقه فيقول: من عرفه ما وصفه، ومن وصفه ما عرفه، عنت الوجوه لعظمته وكبريائه في أرضه وسمائه، وأنست قلوب أوليائه بشهود جلاله وجماله وبهائه، وكلت المعاول عن شكر آلائه وأفضاله ونعمائه، وقصرت المعارف عن ذاته وصفاته وأسمائه، وحارت العقول في نزوله وارتفاعه واستوائه[4].

ومما ينبغي أن يفهم أن أول الديانة معرفة الله، وكمال معرفته توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، والإخلاص نفي الصفات عنه بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة الموصوف بأنها غير الصفة، وشهادتهما جميعاً بالتنبيه على أنفسهما بالحدث الممتنع من الأزل[5].

فمن وصف الله عز وجل فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن عده فقد أبطل أزله.

---

(١) الجيلاني: الغنية، ج١، ص: ٥٧- ٥٨ .

(٢) محمود بن الشريف: الحب في القرآن، ص: ٢٨- ٢٩ .

(٣) سورة الحديد ، الآية: ٣ .

(٤) طه عبد الباقي سرور: الحلاج، ص: ٧٥ .

(٥) ابن سلامة القطاعي: دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم، ص: ١٥٣ .

قيل للإمام علي رضي الله عنه: بم عرفت ربك؟ قال: بما عرفني بنفسه، لا تشبهه صورة، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب في بعده، بعيد في قربه، فوق كل شئ ولا يقال شئ تحته، وتحت كل شئ ولا يقال شئ فوقه، أمام كل شئ ولا يقال شئ أمامه، داخل في الأشياء لا كشيء، ولا من شئ، ولا في شئ، ولا بشئ، سبحان من هو هكذا، ولا هكذا غيره[١].

فالمقصود هنا هو معرفة المعتقد الإسلامي. والمعرفة الإلهية في الفكر الإسلامي غير المقيد بالقوالب الفقهية، والمقدمات الاستدلالية الكلامية.

وما نسب للإمام علي رضي الله عنه إنما هو تصوير للوحدانية المطلقة، كما هو تصوير دقيق للذات المحيطة بكل شئ، دون اتصال بشئ، وإنه ـ كما قال الإمام جعفر الصادق ـ من زعم أن الله في شئ، أو من شئ، أو على شئ، فقد أشرك، إذ لو كان على شئ لكان محمولاً، ولو كان في شئ لكان محصوراً، ولو كان من شئ لكان محدثاً.

ومع هذا فهو عالم بكل شئ، لأن المعرفة جوهره، وهو القدير لأن القوة جوهره، وهو المحب لأن الحب جوهره أيضاً، ليس لأن هذه الصفات تبتعد عن جوهره:

إن شروط الزمان والمكان لا تنطبق كلية عليه. وهو نفس ما ذهب إليه المعتزلة من أن الله عليم بذاته، وقادر بذاته، وحي بذاته، دون تباين بين الذات والصفة، فلا يعني وجود معرفة وقوة وحياة فيه أنها جزء من جوهره، وإلا فإن حسبان هذه صفات خالدة ومنفصلة، يمكن الجنوح بها إلى تعدد ذاتية الخالق سبحانه وتعالى[٢].

---

(١) الطوسي: اللمع، ص: ١٧٩.

(٢) كامل سعفان: سبحان الله، ص: ٥٧- ٥٨.

الفصل الثاني

اللّه سبحانه هو الموجود السرمدي الكامل المطلق

الفصل الثاني
الله سبحانه وتعالى هو الموجود السرمدي الكامل المطلق

إن الله سبحانه وتعالى هو الموجود السرمدي الكامل المطلق الكمال، وهو الإله الذي نريده بالإيمان، وهذا هو حقه في إيمان العقلاء بوجوده وربوبيته. ولكن العقل المحدود لا يحيط بالوجود المطلق الذي ليست له حدود(١).

ويجب له تعالى صفة الحياة والقدرة يعني أنه تعالى حيٌّ قادر جبار قاهر لا يعتريه فتور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وأنه تعالى ذو الملك والملكوت والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته وأنه تعالى المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالإيجاد والإبداع، خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم، لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته، ويجب له صفة العلم يعني أنه تعالى عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الأرضيين إلى أعلى السموات وأنه تعالى عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفاً به تعالى.

ويجب له تعالى صفة الإرادة يعني أنه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير، صغير أو كبير، خير

---

(١) عباس محمود العقاد: الإنسان في القرآن (القاهرة: دار نهضة مصر، بدون تاريخ) ص: ٤٤ .

أو شر، نفع أو ضر، إيمان أو كفر، عرفان أو نكر، فوز أو خسران، زيادة أو نقصان، طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدرته، وحكمته ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، هو المبدي المعيد، الفعال لما يريد، لا مراد لأمره، ولا معقب لقضائه، ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته، فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك، وإرادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفاً بها مريداً في أزله لوجود الأشياء في أوقاتها كما أراد في أزله من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وإرادته سبحانه وتعالى.

ويجب له تعالى صفة السمع والبصر يعني أنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى ولا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق، يرى من غير حدقة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان. كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آله سبحانه وتعالى.

ويجب له صفة الكلام وأن كلامه تعالى منزه عن مشابهته لكلام الخلق فليس بصوت ولا بحرف ينقطع بأطباق شفة أو تحرك لسان، والقرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذاته تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق، وأن موسى عليه السلام سمع كلامه بغير صوت ولا حرف، كما يرى الأبرار الله تعالى في الآخرة من غير جوهر ولا عرض، وإذا كانت له هذه الصفات كان حياً عالماً قادراً مريداً سميعاً بصيراً متكلماً بالحياة والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات، ويستحيل عليه ضد هذه الصفات. ويجب اعتقاد أنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو

حادث بفعله وفائض عن عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها وأنه حكيم في أفعاله عادل في أقضيته لا يقاس بعدل العباد، إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى لأن كل الأشياء مملوكة له ليس لأحد معه ملك حتى يكون تصرفه فيه ظلماً. فكل ما سواه من إنس وجن وملك وشيطان وسماء وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعاً وأنشأ انشاءً بعد أن لم يكن شيئاً. إذ كان في الأزل موجوداً وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق بعد ذلك إظهاراً لقدرته وتحقيقاً لما سبق من إرادته لا افتقاراً إليه وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب، ومتطول بالإنعام والإصلاح لا عن لزوم، فله الفضل والإحسان والنعمة والامتنان، إذ كان قادراً على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بالأوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلاً ولم يكن منه قبيحاً ولا ظلماً، وأنه عز وجل يثيب عباده المؤمنين على الطاعة بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق إذ لا يجب عليه تعالى لأحد فعل.

فيجب اعتقاد ما ذكر وأنه تعالى لا يجب لأحد عليه تعالى حتى وأن حقه في الطاعة واجب على الخلق بإجابه على ألسنة أنبيائه عليهم الصلاة والسلام لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوه أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به وأنه بعث النبي الأمي القرشي محمداً ﷺ وليس ذلك واجباً عليه بل بمحض الفضل.

من هنا كان لابد وأن نوضح أن العقل لا يستطيع أن يخوض في ساحة المعرفة الربانية دون أن يتسلح بسلاح الإيمان، وإلا وقع في الشطط والضلال لأتباعه الظن والوهم.

والله علم على الذات العليـــة، وهو الإله العظيـــم. والرب الكريم.. وهو الواجب الوجود وحده سبحانه ــ كان ولا شئ معه. وهو القديم الأزلي. الأول بلا بدايـــة، الباقي السرمدي. الآخر بلا نهاية، الظاهــر في كل شئ من مخلوقاته. الباطن الذي لا تدركه الأبصار. ولا تحيط به الأفكار. وهو سبحانه يدرك كل شئ. ويحيط بكل أمر. وهو اللطيف الخبير.

وهو الحنان المنان، الرحمن الرحيم ــ وسعت رحمته كل شئ.

وهو العزيز القهار ــ لا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء.

وهو المؤمن. يبعث الأمن والطمأنينة في نفوس المؤمنين. فلا أمن إلا به ولا أمان إلا منه سبحانه **وتعالي**

وهو القيوم، القائم بتدبير السموات والأرضين وما فيهما على أحسن وجه وأتمه وأحكمه..

وهو الخالق لكل شئ. القادر على كل شئ. قدرة لا حد لها. المريد إرادة مطلقة. الواحد الأحد الفرد الصمد. الذي لم يلد ولم يولد. ولم يكــن له كفواً أحد ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(١).

يسمع دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء علي الصخرة الصماء.

ويبصر ما تحت الثرى ويعلم السر وأخفى.

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾(٢).

﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٣).

---

(١) سورة الشورى ، الآية: ١١ .

(٢) سورة غافر ، الآية: ١٩ .

(٣) سورة المجادلة ، الآية: ٧ .

وما أحسن قول القائل مناجياً الحق تباركَ وتعالى طالباً منه سبحانه المغفرة من ذنوبه.

يا من يرى مد البعوض جناحه في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل

وهو سبحانه الغني الذي يفتقر إليه كل من عداه. بيده ملكوت السموات والأرض. وفي حوزته خزائن الخير كله. لا يتصرف فيها إلا هو وحده. فهو يعطي من يشاء. ويمنع من يشاء.

وهو المعز المذل. يعز من يشاء ويذل من يشاء.

وهو المحيي المميت. أحيانا من العدم. وقدر المقادير كلها من القدم. وهو يميت كل حي في وقته المعلوم. وقدره المحتوم﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾(١).

وهو جل وعلا ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾(٢).

فالخلائق كلهم مسئولون بين يديه. يحاسب كل إنسان على ما قدمت يداه. ويجازي كل امرئ على عمله ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾(٣). كل ذلك بعدله وحكمته. وخبرته وإرادته. جل جلاله. وتعالت ذاته. وتقدست أسماؤه. وتباركت صفاته. لا يحيط به مكان. ولا يتعلق به زمان.

وهو وحده سبحانه وتعالى الذي يعرف قدر نفسه. وحقيقة ذاته. وهو الذي له الثناء على نفسه المقدسة. والخلائق كلهم عاجزون عن ذلك. حتى سيدنا رسول الله ﷺ الذي هو أعرف العارفين به عز وجل. يقول في مناجاته لربه: «سبحانك لا نحصي ثناء عليك. كما أثنيت أنت على نفسك».

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.
(٣) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧- ٨.

فسبحانه سبحانه. إليه المرجع وإليه المآب. وإليه المنتهى. وإليه المصير. يحيط بها ألا وهو سبحانه. لذلك بلغت من العظمة والكثرة حداً لا يمكن لبشر أن يدركه. ولا لمخلوق أن يتصوره.

ولقد سئل سفيان الثوري: بم عرفت ربك ؟ فقال: بفسخ العزم، ونقص الهمة.

يبين لنا الثوري في نصه السابق حقيقة هامة من أمهات الحقائق ألا وهي أن الإنسان لا يقوم وحده دون مهيمن ومسيطر، بل متحكم، ولو قام وحده لسار في طريق دون فسخ للعزم، أو نقض للهمة، ولكنه يشاهد طيلة حياته، أنه يعزم أحياناً فيفسخ عزمه فتنتقض همته، لا لسبب منه، وإنما السبب من مدبر قهار، لا يعلو على سلطانه سلطان، ولا يسمو على تدبيره تدبير، هو الله سبحانه وتعالى[١].

ولعل هذا النص السابق يكشف جانباً هاماً من جوانب شخصية الثوري عندما حدثنا بمنطق العقل السائر في حضن الشرع، فتشابك العقل مع النقل بهذا الميزان الشرعي. وهذا يدل على علو همة الثوري في استخدامه المنهج العقلي القرآني.

ويقول ابن عطاء الله في مناجاته: إلهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك. متى غبت حتى نحتاج إلى دليل يدل عليك؟ ومتى بعدك حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك ؟.

·كيف يتصور أن يحجبه شئ، وهو الذي أظهر كل شئ..

·كيف يتصور أن يحجبه شئ، وهو الذي ظهر بكل شئ..

---

(١) عبد الحليم محمود: سفيان الثوري (القاهرة: دار المعارف، سنة ١٩٧٦م) ص:٤٣.
ومن أراد زيادة فليراجع مؤلفنا: التدبير عند الصوفيه.

· كيف يتصور أن يحجبه شئ، وهو الذي ظهر في كل شئ..

· كيف يتصور أن يحجبه شئ، وهو الظاهر قبل وجود أي شئ..

· كيف يتصور أن يحجبه شئ، وهو الظاهر قبل وجود كل شئ..

· كيف يتصور أن يحجبه شئ، وهو أظهر من كل شئ..

· كيف يتصور أن يحجبه شئ، وهو الواحد الذي ليس معه شئ..

· كيف يتصور أن يحجبه شئ، وهو أقرب إليك من كل شئ..

· كيف يتصور أن يحجبه شئ، ولولاه ما كان وجود شئ..

شتان بين ما يستدل به أو ما يستدل عليه، المستدل به عرف الحق لأهله، فأثبت الأمر من وجود أصله، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه، وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه، ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه[١].

---

(١) عبد الحليم محمود: أبو الحسن الشاذلي، ص: ٩٧.

الله سبحانه وتعالى
في الشرائع والنبوات والعقائد

في هذا المقام ينبغي أن نوضح أن جميع النبوات من أولها إلى آخرها متفقه على أصول:

أحدها: أن الله سبحانه وتعالى قديم واحد لا شريك له في ملكه ولا ند ولا ضد ولا وزير ولا مشير ولا ظهير ولا شافع إلا من بعد إذنه.

الثاني: أنه لا والد له ولا ولد ولا كفؤ ولا نسيب بوجه من الوجوه ولا زوجة.

الثالث: أنه غني بذاته فلا يأكل ولا يشرب ولا يحتاج إلى شئ مما يحتاج إليه خلقه بوجه من الوجوه[١].

الرابع: أنه لا يتغير ولا تعرض له الآفات من الهرم والمرض والسفه والنوم والنسيان والندم والخوف والهم والحزن ونحو ذلك.

الخامس: أنه لا يماثل شيئاً من مخلوقاته، بل ليس كمثله شئ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

السادس: أنه لا يحل في شئ من مخلوقاته ولا يحل في ذاته شئ بل هو بائن عن خلقه بذاته والخلق بائنون عنه.

السابع: أنه أعظم من كل شئ وأكبر من كل شئ وفوق كل شئ وعال عن كل شئ وليس فوقه شئ ألبته[٢].

---

(١) ابن قيم الجوزية: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (القاهرة: المكتبة القيمية، ط٢، سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ص: ٢٩٧.

(٢) المصدر السابق، ص: ٢٩٨.

وقد قيل في معنى الله أكبر: أي أكبر من أن يقاس بالناس، أو يدخل تحت القياس، أو تدركه الحواس[1].

الثامن: أنه قادر على كل شئ فلا يعجزه شئ يريده بل هو الفعال لما يريد.

التاسع: أنه عالم بكل شئ، يعلم السر وأخفى، ويعلم ما كان وما يكون لم يكن لو كان كيف يكون.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[2].

أي لا متحرك إلا وهو يعلمه على حقيقته.

العاشر: أنه سميع بصير يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، فقد أحاط سمعه بجميع المسموعات، وبصره بجميع المبصرات، وعلمه بجميع المعلومات، وقدرته بجميع المقدورات، ونفذت مشيئته في جميع البريات، وعمت رحمته جميع المخلوقات، ووسع كرسيه الأرض والسموات.

الحادي عشر: أنه الشاهد الذي لا يغيب ولا يستخلف أحداً على تدبير ملكه، ولا يحتاج إلى من يرفع إليه حوائج عباده أو يعاونه عليها أو يستعطفه عليهم ويسترحمه لهم.

الثاني عشر: أنه الأبدي الباقي الذي لا يضمحل ولا يتلاشى ولا يعدم ولا يموت.

الثالث عشر: أنه المتكلم الآمر الناهي، قائل الحق وهادي السبيل ومرسل الرسل ومنزل الكتب والقائم على كل نفس بما كسبت من الخير والشر، ومجازي

---

(١) عبد الحليم محمود: أبو يزيد البسطامي (القاهرة: دار التراث العربي، ١٩٧٦م) ص: ٨٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

الرابع عشر: أنه الصادق في وعده وخبره، فلا أصدق منه قيلا، ولا أصدق منه حديثا، وهو لا يخلف الميعاد.

الخامس عشر: أنه تعالى صمد بجميع الصمدية، فيستحيل عليه ما يناقض صمديته.

السادس عشر: أنه قدوس سلام، فهو المبرأ من كل عيب وآفة ونقص.

السابع عشر: أنه الكامل الذي ليس له الكمال المطلق من جميع الوجوه.

الثامن عشر: أنه العدل الذي لا يجور ولا يظلم ولا يخاف عباده منه ظلماً.

الله سبحانه وتعالى
ليس كمثله شئ

مما يروى في هذا المقام عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين سئل: أين الله ؟. قال: إن الذي أيَّن الأين لا يقال له أين. فقيل له: كيف الله ؟. فقال: إن الذي كيف الكيف لا يقال له كيف. وحين سئل: ما جهة وجه الله ؟. فأمر بشمعة فوضعها في أنبوب قصب، فقال للسائل: ما وجه الشمعة، وبأي جانب مختص؟ فقال له السائل ليس بمختص جانب دون جانب، فقال: ففيم السؤال إذن ؟

وواضح من هذا النص السابق للإمام علي أنه استخدم الدليل العقلي لإقناع السائل.

كما قيل للإمام علي رضي الله عنه: بما عرفت ربك؟. بما عرفني نفسه، لا تشبهه صورة، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب في بعده، بعيد في قربه، فوق كل شئ، ولا يقال تحته شئ، وتحت كل شئ، ولا يقال شئ فوقه، أمام كل شئ، ولا يقال شئ أمامه، داخل في الأشياء، لا كشئ، ولا من شئ، ولا في شئ، ولا بشئ، سبحان من كان هكذا ولا هكذا غيره(١).

ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا المقام معرفة المعتقد الإسلامي والمعرفة الإلهية في الفكر الإسلامي، غير المقيد بالقوالب الفقهية، والمقدمات الاستدلالية الكلامية.

وما نسب للإمام علي رضي الله عنه إنما هو تصوير للوحدانية المطلقة، كما هو تصوير دقيق للذات المحيطة بكل شئ، دون اتصال بشئ، وأنه ـ كما

(١) الطوسي: اللمع، ص: ١٧٩.

قال الإمام جعفر الصادق ـ من زعم أن الله في شئ، أو من شئ، أو على شئ، فقد أشرك، إذ لو كان على شئ لكان محمولاً، ولو كان في شئ لكان محصوراً، ولو كان من شئ لكان محدثاً. ومع هذا فهو عالم بكل شئ، لأن المعرفة جوهره، وهو القدير لأن القوة جوهره، والمحب لأن الحب جوهره أيضاً. ليس لأن هذه الصفات تبتعد عن جوهره. إن شروط الزمان والمكان لا تنطبق كلية عليه[1].

وهو نفس ما ذهب إليه المعتزلة من أن الله عليم بذاته، وقادر بذاته، وحيٌّ بذاته، دون تباين بين الذات والصفة، فلا يعني وجود معرفة وقوة وحياة فيه أنها جزء من جوهره، وإلا فإن حسبان هذه الصفات خالدة ومنفصلة عن جوهره يمكن الجنوح بها إلى تعدد ذاتية الخالق سبحانه تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

ولقد قيل: صفات البشرية لسان الحجة على ثبوت الصمدية، وصفات الصمدية لسان الإشارة إلى فناء الصفات البشرية، وهما طريقان إلى معرفة الأصل الذي هو قوام التوحيد.

ويشهد لهذا القول ذي النون المصري، لرجل سأله عن التوحيد، فقال: هو أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج، وصنعة الله للأشياء بلا علاج، وعلة كل شئ صنعه، ولا علة لصنعه، وليس في السموات العلا، ولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله تعالى. ومهما تصور وهمك فالله تعالى بخلاف ذلك.

وعن وهب بن منبه قال: قال موسى عليه السلام: يا رب إنهم سيسألون كيف كان بدؤك؟ قال: فأخبرهم إني أنا قبل كل شئ وبعد كل شئ[2].

---

(١) كامل سعفان: سبحان الله (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م) ص: ٥٧- ٥٨.

(٢) أبو نعيم: الحلية، ج٤، ص: ٢٧.

قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٢).

وكذلك قيل لبعض الأعراب بم عرفت ربك؟ فقال: البعرة تدل على البعير. وآثار الخطا تدل على المسير. فسماء ذات أبراج. وأرض ذات فجاج. كيف لا تدل على العليّ الكبير(٣).

وقد أشارت الرسل عليهم الصلاةوالسلام إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ﴾(٤).

ومما استجيد في هذا المعنى وتناقله السلف الصالح قول زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله تعالى:

رضيت بك اللهم ربا فلن أرى	أدين إلها غير الله ثانيا
وأنت الذي من فضل منّ ورحمة	بعثت إلى موسى رسولاً مناديا
فقلت لموسى أذهب وهارون فادعوا	إلى الله فرعون الذي كان طاغيا
وقولا له أ أنت سوّيت هذه	بلا وتد حتى اطمأنت كما هي
وقولا له أ أنت رفّعت هذه	بلا عمد أرفق إذاً بك بانيا
وقولا له أ أنت سوّيت وسطها	منيرا إذا ماجنه الليل هاديا
وقولا له من يرسل الشمس غدوة	فيصبح مامست من الأرض ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب في الثرى	فيصبح منه البقل يهتز رابيا
ويخرج منه حبه في رؤوسه	وفي ذاك آيات لمن كان واعياً

وتفكر في تباين القمر في الحرارة والبرودة، وبرد القمر مع استمداده في

(١) سورة ال عمران ، الأيتان: ١٨- ١٩ .

(٢) سورة الشورى ، الآية: ١١ .

(٣) ابن المرتضي اليماني: إيثار الحق على الخلق، ص: ٥١ .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية: ١٠ .

نوره من الشمس، وحرارة الشمس الشديدة ومم استمدت تلك الحرارة الدائمة المتقدمة وهي في أرفع الأجواء الرطبة. وكيف لم تحترق وتتلاشى مع شدة حرارتها ودوامها وعدم ما تحرقه مثل سائر الناريات[1].

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾[3].

إن الكلام في ذات الله تعالى على جهة التصور والتفصيل أو على جهة الإحاطة على حد علم الله كلاهما باطل بل من المتشابه الممنوع الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾[4]. ولقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[5]. وإنما تتصور المخلوقـــات وما هو نحوها. ولما روي من النهي عن التفكر في ذات الله تعالى والأمر بالتفكـــر في آلاء الله[6].

(١) ابن المرتضي اليماني: إيثار الحق على الخلق، ص: ٥٢ .

(٢) سورة الروم ، الآية: ٢٥ .

(٣) سورة فاطر ، الآية: ٤١ .

(٤) سورة البقرة ، الآية: ٢٥٥ .

(٥) سورة الشورى ، الآية: ١١ .

(٦) ابن المرتضي اليماني: إيثار الحق على الخلق، ص: ٩٣ .

التوحيد أول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى الله سبحانه وتعالى

لقد كان التوحيد أول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل[١].

والتوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان:

توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب سبحانه وتعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شئ في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسول الله ﷺ.

والثاني: وهو توحيد الطلب والقصد، مثل ما تضمنته سورة: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[٢].

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

وكذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهدت له الملائكة وأنبياؤه ورسله. قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾[٣].

وحكى الجنيد عن الصديق أنه قال: أشرف كلمة في التوحيد قول أبي بكر الصديق: «سبحان من لم يجعل للخلق طريقاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته».

(١) الطحاوى، شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٧٦.

(٢) سورة الكافرون، الآية: ١.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٨ – ١٩.

ويعني التوحيد اعتقاد الوحدانية لله سبحانه وتعالى، والوحدانية تشتمل على ثلاثة أوجه: وحدانية الذات، ووحدانية الصفات، ووحدانية الأفعال.

فوحدانية الذات، تنفي التركيب في ذاته تعالى، وتنفي التعدد بأن يكون ثم ذات أخرى قديمة لها من صفات الألوهية ما لذات مولانا سبحانه وتعالى.

ووحدانية الصفات، تنفي اتصاف الذات العلية بقدرتين، وتنفي وجود صفته في ذات حادثة.

ووحدانية الأفعال، تنفي أن يكون لغيره تعالى من الحوادث فعل من الأفعال ![1].

ولهذا تكون العقائد في التوحيد خمسة:

(١) الله واحد وليس مركباً.

(٢) الله واحد وليس معه من إله.

(٣) الله واحد في صفاته.

(٤) الله واحد في صفاته فليس لغيره صفة من صفته.

(٥) الله واحد في أفعاله، فليس لغيره من الحوادث، فعل أصلاً[2].

فكلمة التوحيد وهي السطر الأول في كتاب الإسلام، لا تكون صدقاً وحقاً إلا إذا عشناها وتذوقناها، وفنينا في معناها، حتى كأننا ننطقها ونسمعها من الله جل جلاله، وحينئذ تنبثق في شغاف القلب، وعين الواجدان، ويَموج كل شئ بالجلال والنور والمعرفة[3].

والتوحيد هو العلم، والعمل أصل الإيمان، والإيمان هو التصديق، وكل تصديق بالقلب فهو علم. فإذا ثبت سمي يقيناً. فإذا قوي سمـــي توحـــيداً. فإذا

---

(١) الطحاوي: شرح العقيدة الطحاوية، مرجع سابق، نفس الصفحة.

(٢) محمود على قراعة: الفرار إلى الله (القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٩٦٩م) ص: ٢٦ – ٢٨ .

(٣) طه عبد الباقي سرور: الحلاج (القاهرة: دار نهضة مصر، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص: ٣٤ .

رسخ سمي معرفة[١].

ومعنى التوحيد أن الله سبحانه وتعالى واحد بالعدد، ومنزّه عن كل صفة يتصف بها خلقه، وأن الصفات التي وصف الله بها ذاته كالقدرة، والحياة، لا تدل على كثرة في ذاته، لأنه سبحانه وتعالى واحد من كل وجه[٢].

فالتوحيد إثبات الذات بنفي الجهة، وإثبات الصفات بنفي التشبيه.

ومما رواه القشيري نقلاً عن الجنيد وقد سئل عن التوحيد، فأجاب: «إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته، بأنه الواحد الأحد الذي لم يلد، ولم يولد، بنفي الأضداد والأنداد والأشباه، وما عبد من دونه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل.»

والتوحيد عند أهل السنة وجميع الصفاتية أن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

وقال أهل العدل: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، ولا صفة له، وواحد في أفعاله لا شريك له، فلا قديم غير ذاته ولا قسيم له في أفعاله. ومحال وجود قديمين ومقدور بين قادرين، وذلك هو التوحيد والعدل[٣].

ولقد قال ذو النون المصري: التوحيد هو أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج، وصنعة الله للأشياء بلا علاج، وعلة كل شئ صنعه، ولا علة لصنعه، وليس في السموات العلي، ولا في الأرضين السفلي، مدبر غير الله تعالى، ومهما تصور وهمك فالله سبحانه وتعالى بخلاف ذلك[٤].

ولهذا التوحيد أركان وقواعد يحددها الكلاباذي بسبعة هي: إفراد القدم عن

---

(١) ابن عطاء الله السكندري: الله " القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد " (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د.ت) ص: ١٠ .

(٢) جميل صليبا: تاريخ الفلسفة العربية (بيروت: دار الكتاب العربي اللبناني ١٩٨١م) ص: ١٩ .

(٣) الشهرستاني: الملل والنحل، هامش الفصل في الملل والنحل والأهواء لابن حزم (القاهرة: دار السلام العالمية، د.ت) هامش ص: ٤٨-٤٩ .

(٤) كامل سعفان: سبحان الله (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م) ص: ٦٥ .

الحدث، وتنزيه القديم عن الإدراك المحدث له، وترك التساوى بين النعوت، وإزالة العلة في الربوبية، وإجلال الحق عن أن تجرى قدرة الحدوث عليه فتلونه، وتنزيهه عن التميز والتأمل، وتبرئته عن القياس.

ولقد سئل بعض العلماء عن التوحيد فقال: اليقين. فقال السائل بين لي ما هو ؟ فقال: معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم فعل الله عز وجل وحده لا شريك له فإذا فعلت ذلك فقد وحدته(١).

ويقول الإمام على رضي الله عنه: إن أول الديانة معرفة الله، وكمال معرفته توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، والإخلاص نفى الصفات عنه بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنها غير الصفة، وشهادتهما جميعاً بالتنبيه على أنفسهما بالحدث الممتنع من الأزل. فمن وصف الله عز وجل فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن عده فقد أبطل أزله(٢).

كما قال: إن الله جل ثناؤه واحد بغير تشبيه، ودائم بغير تكوين، خالق بغير كلفة، قائم بغير منصبة، موصوف بغير غاية، معروف بغير محدودية، باق بغير تسوية، عزيزاً لم يزل عزيزاً في القدم، زاغت القلوب لمهابته، وذهلت الألباب لعزته، وخضعت الرقابة لقدرته، لا يخطر على القلوب له مبلغ كنه، ولا يعتقد ضمير التسكين من التوهم في إمضاء مشيئته، لا تبلغه العلماء بألبابها، ولا أهل التفكر بتدبير أمورها وصف جل وعز به نفسه.

ولما سئل سهل عبد الله عن ذات الله عز وجل فقال: ذات الله تعالى موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا إحاطة ولا حلول، وتراه العيون

---

(١) القشيري: الرسالة (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د.ت) ص: ٨ .

(٢) ابن سلامة القطاعي: دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (القاهرة: مطبعة السعادة، سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م) ص: ١٥٣ .

في العقبى ظاهراً في ملكه وقدرته، قد حجب الخلق عن معرفة كنه ودلهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه والعقول لا تدركه. ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية.

ويوصف الله بما يوصف به نفسه، أو وصف به رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والسنة من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. وهذا هو مذهب السلف في الصفات الإلهية.

من هنا قال الإمام أحمد رضي الله عنه: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصف به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث.

ويضع ابن تيمية قاعدة أهل السنة في التوحيد رداً على دعاة الحلول والوحدة فيقول: إن الله سبحانه وتعالى ليس هو خلقه، ولا جزء من خلقه، ولا جزء لخلقه، بل هو سبحانه وتعالى مميز بنفسه المقدسة، بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته.

ويقول أبو الحسن البوسنجي: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة بالذوات ولا معطلة من الصفات(١).

وقد قيل عن التوحيد هو أن تشهد للعالم وجوداً بين طرفي عدم. بمعنى أن الأغيار والرسوم والأطلال والأمثال والأشكال من العدم وجدت بقدرة خالقها وآثارها يستحيل عليها الدوام، وما يصح لها البقاء منها فجواز العدم معها لأن بقاءها بإبقاء المبقي، ولو قطع عنها البقاء لتلاشت(٢).

كما قيل: التوحيد: هو أن توحد الله بالمعرفة، وتوحده بالعبادة، وتوحده بالرجوع إليه، في كل ما لك وعليك، وتعلم أن ما خطر بقلبك أو أمكنك الإشـــارة إليه، فالله تعالى بخلاف ذلك، وتعلم أن أوصافه مباينة لأوصـــاف

(١) القشيري: شرح أسماء الله الحسنى، تحقيق وشرح أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلواني (القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) ص: ٢٧ .

(٢) المصدر السابق، ص: ٥٩ .

خلقه.. باينهم بصفاته قدماً كما باينوه بصفاته حدثاً.

فالوحدانية هي انفراد الله سبحانه وتعالى بالإيجاد والإمداد[1].

وقد وصف لنا ابن قيم الجوزية التوحيد بقوله: هو ملجأ الطالبين، ومفزع الهاربين، ونجاة المكروبين، وغياث الملهوفين، وحقيقة إفراد الرب سبحانه بالمحبة والإجلال والتعظيم، والذل والخضوع[2].

والتوحيد طبقات:

الطبقة الأولى: أن يصدق القلب بالوحدانية المترجم عنها قولك: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شئ قدير، فيصدق بهذا اللفظ، لكن من غير معرفة دليل، فهو اعتقاد العامة.

والثانية: أن يرى الأشياء المختلفة، فيراها صادرة عن الواحد، وهذا مقام المقربين.

والثالثة: أن يرى الإنسان إذا انكشف عن بصيرته أن لا فاعل سوى الله، لم ينظر إلى غيره، بل يكون منه الخوف وله الرجاء وبه الثقة وعليه التوكل، لأنه في الحقيقة هو الفاعل وحده، فسبحانه والكل مسخرون له[3].

إننا نقول بملء أفواهنا قولاً كلياً: إن كل آية في القرآن الكريم فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن الكريم: إما خبر عن الله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري.

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه. فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

---

(١) عبد العزيز الديريني: طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب، تحقيق محمود علي إبراهيم داود (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ص: ٦.

(٢) ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (بيروت: مؤسسة جمال، ١٣٨١هـ) ج١ص: ١٣٠.

(٣) ابن قدامة المقدسي: مختصر منهاج القاصدين (القاهرة: دار التراث العربي، ط١، سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) ص: ٣٣١.

وإما أمر ونهى وإلزام بطاعته في نهيه وأمره. فهي حقوق التوحيد ومكملاته.

وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده.

وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم(١).

وإليك نصاً من نصوص الجنيد يحدثنا عن التوحيد وهاك كلماته:

. اعلم أن أول عبادة الله عز وجل معرفته، وأصل معرفته الله توحيده، ونظام توحيده: نفى الصفات عنه بالكيف والحيث والأين. فيه استدل عليه. وكان سبب استدلاله به عليه توفيقه. وبتوفيقه وقع التوحيد له. ومن توحيده وقع التصديق به. ومن التصديق به وقع التحقيق عليه. ومن التحقيق عليه جرت المعرفة به. ومن المعرفة به وقعت الاستجابة له فيما دعي إليه. ومن الاستجابة له وقع الترقي إليه. ومن الترقي إليه وقع الاتصال به. ومن الاتصال به وقع البيان له. ومن البيان له وقع عليه الحيرة ذهب البيان. ومن ذهابه عن البيان له انقطع عن الوصف له. وبذهابه عن الوصف وقع في حقيقة الوجود له. ومن حقيقة الوجود وقع في حقيقة الشهود بذهابه عن وجوده. وبتفقده وجوده صفا وجوده. وبصفائه غيب عن صفاته. ومن غيبته حضر بكليته. ومن حضر بكليته فقد بكليته. فكان موجوداً مفقوداً. ومفقوداً موجوداً. فكان حيث لم يكن، ولم يكن حيث كان، ثم كان بعد ما لم يكن حيث كان، فكان هو هو بعد ما لم يكن هو. فهو موجود بعد ما كان موجوداً مفقوداً.

---

(١) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين (القاهرة: دار التراث العربي، ط١، سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ج١، ص: ٣٢٥ - ٣٢٦ .

لأنه خرج من سكرة الغلبة إلى بيان الصحو. وترد عليه المشاهدة لا نزال الأشياء منازلها، ووصفها مواصفها لاستدراك صفاته ببقاء آثاره، والاقتداء بفعله بعد بلوغه غاية ما له منه..

والتوحيد عند الشاذلية يقوم على رؤية الله تعالى في كل شئ. أي إفراده تعالى بالوجود الحق. ويقوم التوحيد على مشاهدة نور الحق تعالى وفعله الساري في كل المخلوقات، ومن ثم الحكم بأنه لا موجود على الحقيقة إلا الله الواحد الفعال المتفرد بمرتبة الواحدية. أما المكونات أو المخلوقات، فوجودها نسبي معلوم بفعله وقدرته تعالى(١).

ومما يروى أن رجلا سأل أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه في مسجد الكوفة فقال: يا أمير المؤمنين: هل تصف لنا ربنا فنزداد له حباً، فغضب رضي الله عنه ونادي الصلاة جامعة فحمد الله وأثنى عليه إلى قوله: فكيف يوصف الذي عجزت الملائكة مع قربهم من كرسي كرامته وطول ولهم إليه وتعظيم جلال عزته. وقربهم من غيب ملكوت قدرته. أن يعلموا من علمه إلا ما علمهم وهم من ملكوت القدس كلهم ومن معرفته على ما فطرهم عليه فقالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم(٢).

وكان الجنيد يقول: ما يعرف الله إلا الله.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾(٣). ولا أوضح من نص القرآن.

هو الله الذي لا إله إلا هو. الإله. الصمد. الواحد. الأحد. الرحمن. الرحيم. ذو الرحمة الواسعة أرحم الراحمين. خير الراحمين. العفو. الغفور. الغافر. الغفار. واسع المغفرة. أهل التقوى. وأهل المغفرة. خير الغـافـرين.

---

(١) ابن الصباغ، محمد بن أبي القاسم الحميرى: درة الأسرار وتحفة الأبرار (تونس: المطبعة التونسية، ١٣٠٤هـ) ص: ١٢٤ – ١٢٧ .

(٢) ابن المرتضي اليماني: إيثار الحق على الخلق، ص: ٩٦ .

(٣) سورة طه ، الآية: ١١٠ .

الحاكم. الحكم. الحكيم. الأحكم. أحكم. أحكم الحاكمين. خير الحاكمين. العالم. العليم. الأعلم. علام الغيوب. الرب. البر. الواسع الموسع. الملك. المليك. المالك. مالك الملك. الرازق. الرزاق. خير الرازقين. الخالق. أحسن الخالقين. الناصر. نعم النصير. خير الناصرين. الحافظ. الحفيظ. خير الحافظين. القوي. الأقوى. ذو القوة المتين. العلي. الأعلى. المتعال. القادر. القدير. المقتدر نعم القادر. العزيز. الأعز. الشاكر. الشكور. قابل التوب. التواب. المجيب. القريب الأقرب. الحي. القيوم القائم على كل نفس بما كسبت. الفاعل. الفعال لما يريد. الوارث. خير الوارثين. الكريم. الأكرم. فالق الإصباح. فالق الحب والنوى.العظيم. الأعظم. الولي. نعم المولى. الشاهد. الشهيد. الكبير. الأكبر. القاهر. القهار. نعم القادر. نعم الماهد. الكفيل. نعم الوكيل. المستمع. السميع. البصير. البديع. الرؤوف. الحليم. الرشيد. السريع. المبين. الخبير. المبرم. الغني. الحميد. المجيد. الوهاب. الجامع. المحيط. الكافي. الحسيب. الحاسب. المقيت. الرقيب. كاشف الضر. القاهر. الكاتب. المبتلى. اللطيف. الصادق. الحق. الودود. الحفيّ. المستعان. الفاتح. الفتاح. نور السموات والأرض. الهادي. رفيع الدرجات. الرافع. المنتقم. الزارع. المنزل. المنشئ. الأول. الآخر. الظاهر. الباطن. القدوس. السلام. المؤمن. المهيمن. الجبار. المتكبر. البارئ. المصور. مخرج الحي من الميت. ومخرج الميت من الحي. جاعل الليل سكنا. المنذر. المرسل. خير الفاصلين. أسرع الحاسبين. خير المنزلين. عدو للكافرين. وليّ المؤمنين. خير الماكرين. المتم نوره. الغالب على أمره. البالغ أمره. ذو الطول. ذو المعارج. ذو الفضل العظيم. ذو العرش العظيم. ذو الانتقام. ذو الجلال والإكرام(١).

---

(١) ابن المرتضى اليماني: إيثار الحق على الخلق، ص: ١٧٢ .

ويقول ابن المرتضى اليماني: وقد تركت التكرار فاكتفيت باسم الرب عن رب كل شيء. ورب العالمين. ورب العزة. ورب العرش العظيم. ورب الملائكة والروح. واكتفيت بالواسع عن واسع المغفرة وواسع كل شيء رحمة وعلماً ونحو ذلك وتركت ما كان من صفات أفعاله وأسمائه مثل شديد العقاب وسريع الحساب ونحو ذلك لأنه لم يسم الله بها ولا علمت أحداً عدها في أسمائه بل عدت في أفعاله سبحانه وتعالى لأنه لا فرق في المعنى بين قوله: إن الله شديد العقاب وبين قوله إن عذاب الله شديد .

وقد يدق على بعض الناس كون بعضها في القرآن كالكفيل لأنه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾(١). وكالرافع من قوله تعالى: ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾(٢). والهادي من قوله تعالى: ﴿ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾(٣). ونحو ذلك وكالمبرم لأنه لم يذكر فيه مفرداً إنما ذكر بصيغة الجمع في قول تعالى: ﴿ أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾(٤). وكذلك الموسع والمنزل. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾(٥). وقال تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾(٦). وكذلك الزارع في قوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾(٧). والمبتلي في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾(٨). ونحو ذلك من ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾(٩). ﴿ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾(١٠). ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾(١١). ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾(١٢). ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُم ﴾(١٣). ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا ﴾(١٤). وكذلك

---

(١) سورة النحل ، الآية: ٩١ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ٥٥ .

(٣) سورة الحج ، الآية: ٥٤ .

(٤) سورة الزخرف ، الآية: ٧٩ .

(٥) سورة الذاريات ، الآية: ٤٧ .

(٦) سورة الواقعة ، الآية: ٦٩ .

(٧) سورة الواقعة ، الآية: ٦٤ .

(٨) سورة المؤمنون ، الآية: ٣٠ .

(٩) سورة الأنبياء ، الآية: ٤٧ .

(١٠) سورة الأنعام ، الآية: ١٤٦ .

(١١) سورة الشعراء ، الآية: ١٥ .

(١٢) سورة الأنبياء ، الآية: ٩٤ .

(١٣) سورة الأنعام ، الآية: ١٢٧ .

(١٤) سورة الأعراف ، الآية: ١٥٥ .

الأقرب إنما وجدته في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[1].

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2].

ومذهب أهل السنة هنا قالوا: المراد نفى التشبيه بتعظيم الأسماء الحسنى وإثباتها لا بنفيها كما قال القرامطة. مثاله أنه عليم لا يعزب عن علمه شئ ولا يزول علمه ولا يتغير ولا يكتسب بالنظر الذي يجوز فيه الخطأ ويتعلق بالماضي والمستقبل والغيب والشهادة ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ولا تأخذه سنة ولا نوم وأمثال ذلك في كل اسم.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[4]. أي الوصف الأعلى على ألسنة أهل السموات والأرض وهو كمال الثناء بأسمائه الحسنى كما ذكره المفسرون[5].

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[6].

وقال ابن عباس إلا ليعرفون.

ولقد سئل أبو الحسين النوري عن أول فرض افترضه الله تعالى على عباده ما هو ؟ فقال: المعرفة لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

فالله تعالى خلق العالم يستدل به عليه – كما قال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[7]. ولهذا قيل: أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه.

فالمعرفة أمواج تغط ترفع وتحط ، ولذلك لا يكون العارف لغيره لاحظاً،

---

(١) سورة ق ، الآية: ١٦ .

(٢) سورة الشورى ، الآية: ١١ .

(٣) سورة النحل ، الآية: ٦٠ .

(٤) سورة الروم ، الآية: ٢٧ .

(٥) ابن المرتضي اليماني: إيثار الحق على الخلق، ص: ١٩٢ .

(٦) سورة الذاريات ، الآية: ٥٦ .

(٧) سورة الذاريات ، الآية: ٢١ .

ولا بكلام غيره لافظاً، ولا يرى لنفسه غير الله تعالى حافظاً. فالمعرفة حياة للقلب مع الله تبارك وتعالى.

فالعارف الذي منحه الله المعرفة بنور قذفه في قلبه، فبه سمع، وأصغى إلى كل شئ فوجده يسبح بحمد الله. فالمعرفة الحقيقية بالله هي أن ينير الله قلبك بعنصر المعرفة الخالص.

والذين يتأملون في هذا الوجود الذي خلقه واجب الوجود لذاته سبحانه وتعالى يدركون لأول وهلة بديع الصنع وجميل الإنعام ودقيق الإحكام فيخرون لعظمة مولاهم ساجدين، ويشكرون لربهم آلاءه حامدين، ألم يبث في الكون ألواناً من النعم والآلاء بين أيديهم ومن تحتهم ومن فوقهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم يسخر لهم كل الوجود بمعارفه ولطائفه بنعمه وخيره، ثم يدخر لهم بعد ذلك في الحياة الأبدية الخلود السرمدي والنعيم الأبدي.

وإذا كان التأمل في الكون دأب المؤمنين، فإن العمل على تصفية الروح سمة الموفقين ممن وهبهم الله صفاء الذهن والنفس ورقة الحس وشفافية الروح وكلها ينظر بها العارف بربه المتمتع بحبه وبقربه فيرى الأشياء على حقيقتها ببصيرة نافذة فهو يطل على المخلوقات من كوى الإيمان، ويرى بعين بصيرته مالا تراه عيناه[1].

والله سبحانه وتعالى قد وهب هذا الصنف من الناس من صدق الفراسة، ونفوذ البصيرة وقوة نور المكاشفة ما أكمل إيمانهم وقواه فأشرقت قلوبهم بنور الله، فكان لهم بصراً وسمعاً وقوة وبطشاً وفهماً وعلماً وسلوكاً وعملاً.

فمن عرف أسماء الله تعالى يجب أن يتصف بهذين الوصفين بالسمو والسمة. فتعلو همته عن مساكنة الأغيار وملاحظة الرسوم والآثار. والرضا

---

(١) القشيري: شرح أسماء الله الحسنى، ص: ٤ .

بخسيس الأقدار، ويتسم بعبادة الجبار، ويتصف بنعت الافتقار، ويقوم بين يدي ربه بشواهد الانكسار، ويبرز في ميدان الاضطرار، وخمار الاحتقار[١].

وقال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[٢]. جاء في التفسير هل تعلم له نظيراً.

معناه: هل تعلم أحداً يستحق من الصفات ما يستحقه الله عز وجل.

وقيل: معناه هل تعلم أحداً يسمى الله سوى الله.

وعن الحسن بن الفضل البلخي أنه قال: نظم هذه اللفظة بما قبلها أنه لما أخبر أنه مالكهم وبحق ملكه تعبدهم وبملازمة طاعته أمرهم. بين أنه لا منازع له ينازعه فيما أمر. ولا مضارع يساويه فيما أثبت وأظهر. ودلت الآية على نفي التشبيه، وأن المعبود سبحانه لا يشبهه شئ من المدروكات، لأن من شرط التماثل التساوي بكل وجه، والله صانع وما سواه مصنوع ويستحيل أن يكون كالمصنوع لاستحالة القول بحدوثه كما يستحيل أن يكون المخلوق كالخالق، وعليه دل قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[٣].

قال الواسطي: ليس كذاته ذات ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ، وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة، كما استحال أن تكون الذات المحدثة لها صفة قديمة.

سبحان من ليس كمثله شئ وجل عن الزمان والأين[٤].

وهذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد. وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية عن كل غير بكل وجه، فهي بها قائمة وباستحقاق نعت صمديتها دائمة.

وما سواها من الأغيـــار إلى الإيجاد والإبداء مفتقرة حتى تكـــون ، وإلى

---

(١) القشيري: شرح أسماء الله الحسنى، ص: ٢٧.

(٢) سورة مريم ، الآية: ٦٥.

(٣) سورة الشورى ، الآية: ١١.

(٤) القشيري: شرح أسماء الله الحسنى، ص: ٤٩- ٥٠.

الإبقاء والإدامة محتاجة حتى تدوم.

وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لا لعلة فعل ما فعل. ولا لجلب أنس أو دفع نقص حصل. ولا بخواطر وأغراض وجد. ولا بمباشرة أو معالجه ظهر. وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه. وإليه أشار ذو النون المصري حيث قال: حقيقة التوحيد أن تعرف أن قدرة الله في الأشياء بلا علاج. وصنعه للأشياء بلا مزاج. وعلة كل شئ صنعه ولا علة لصنعه. وما تصور في وهمك فالله تعالى بخلافه[1].

ومعنى قوله: وعلة كل شئ صنعه أنه ما ظهر حادث إلا والله صانعه ولا علة لفعله. أي لم يحمله على الفعل غرض ولا دعاء إلى الإيجاد محرك، فهو سبحانه لا يشبهه أحد ولا يوجد من دونه ملتحد، وكيف لا وهو سبحانه وتعالى واحد لا يجمعه عدد، وصمد لا يقطعه أمد، وفي معناه أنشدوا:

يا من إذا قلت يا من لا نظير له   في عزه قيل لي يا صادق البشر

لا إله إلا الله تقدس عن الأمثال وتعالى عن الأشكال وهو الكبير المتعال.

وقال بعض المشايخ: إذا عظم الرب في القلب صغر الخلق في العين. وعلامة من صغر الخلق في عينه رؤية الإفلاس، والتحقق باليأس من الناس، ولزوم الورع وقطع الطمع.

وتعظيم العبد لربه سبحانه وتعالى على حسب كماله ومعرفته. ولو كنت تعرف قدره لما كنت تترك أمره، ولو تحققت إطلاعه عليك، وقربه منك، وسماعه لخطابك، ورؤيته لأحوالك، لما جعلته أهون الناظرين إليك.

ومن المعلوم بداهة: أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحد من خلقه نسب. وأنه سبحانه: المتفرد في خلقه وحكمه. لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

(١) القشيري: شرح أسماء الله الحسنى، ص: ٥٠- ٥١.

يقول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[2].

ويقول الإمام ابن عبد البر متناسقاً مع القرآن الكريم: إن الله ليس كمثله شئ، فكيف يدرك بمثال، أو بإمعان نظر ؟

ولقد تورع الكثير من ساداتنا العلماء عن الحديث في ذات الله سبحانه إلا بما ورد في النصوص، ويقول في كل ما يتصل بالذات من النصوص: آمنا به على مراد الله.

أما التحديد والتفسير والتأويل بالرأي والعقل والفكر البشري فإنهم بعيدون عن ذلك، وشعارهم في ذلك قوله تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[2].

ويقول سهل عن الله عز وجل: ليس له وراء، وليس وراء الله وراء، هو وراء كل شئ جل الله عز شأنه.

ولقد سأل رجل عن علم الله تعالى في عباده: هل هو شئ بدا له من بعد ما خلقهم أو كان قبل أن يخلقوا ؟

فأجابه سهل: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾[3]. أي كتاب محكم في لوح محفوظ قبل أن يخلقوا، وإن الله عز وجل فرغ من علمه على عباده وما يعلمون قبل أن يخلقهم، ولم يجبرهم على المعصية، ولا أكرههم على الطاعة، ولا أهملهم من تدبيره، بل نبه على ما توعد به من كذب بقدره.

قال تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[4].

ويشترط لصحة الإيمان صحة العقيدة وهي أن تعلم أن الله تعالى حيّ

---

(١) سورة الشورى ، الآية: ١١ .

(٢) سورة الصافات ، الآية: ١٨٠ .

(٣) سورة البروج ، الآية: ٢١ .

(٤) سورة الكهف ، الآية: ٢٩ .

عليم قادر سميع بغير أذن بصير بغير حدقة أجفان متكلم بغير شفة ولسان، مدبر للكائنات بأسرها ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وأنه تعالى منزه عن فوق يرفعه وعن تحت ينزله وعن عرش يحمله وعن سماء تكتنفه وعن غمام يظله وعن جهة تحده وعن مكان يقله(١).

وسئل إمام الحرمين رضي الله عنه: هل الحق سبحانه وتعالى في جهة فقال: لا. قال: من أين أخذت هذا؟ قال: من قوله ﷺ لا تفضلوني علي يونس بن متى فإنه لما قال: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. وخاطب الله تعالى محمداً ﷺ من فوق سبع سموات فسمع خطاب محمد كما سمع خطاب يونس على حد سواء فلو كان الحق في جهة لسمع أحد الخطابين أبلغ من الآخر(٢).

وثبت بالعقل والنقل من الكتاب والسنة أن الحق سبحانه وتعالى منزه عن الجارحة والجهة والحركة والسكون.

والدليل على أن الحق تعالى منزه عن الحركة وجميع ما جاء من الآيات والأحاديث التي تقتضي ظاهرها إثبات الجارحة والمكان مؤول عند أهل الحق والتأويل. إما بقلوبهم وهم أهل السلامة وإما بألسنتهم وهم أهل التأويل. ودليلهم على التأويل قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾(٣).

وقوله ﷺ: . الحجر الأسود يمين الله . . فالعقل يشهد بأن الله لا يتحيز ولا يتبعض. والحس يشهد بأن الحجر الأسود ليس بيمين الله حقيقة بل هو من اليمن والبركة.

ولقد أجاب رسول الله ﷺ أبو رزين لما سأله: أين كان الله قبل أن يخلق

---

(١) عبد الرحمن العصفوري: نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ج١، ص: ٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص: ١١ .

(٣) سورة المجادلة ، الآية: ٧ .

خلقه. قال: في عماء. ولو سأله أين كان قبل العماء الذي هو السَحاب لأخبره أنه كان الله ولا شئ معه[1].

كما قال ﷺ: كان الله ولم يكن شئ غيره فهو الآن على ما كان عليه أولاً من أزل الأزال إلى أبد الأباد.

وقال يهودي لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أين ربنا؟ قال: الذي أوجد الأين لا يسأل عنه بأين. قال: كيف ربنا؟ قال: الذي كيف الكيف لا يقال عنه كيف. قال: متى كان ربنا؟ قال: ويحك ومتى لم يكن.

والجواب عن قوله ﷺ إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش أنه علوي مكانة الإمكان لأن المكان لا يضاف إليه تعالى[2].

قال ﷺ: لو دليتم بحبل لهبط على الله. فأشار ﷺ إلى نسبة التحت، إليه. كما أن نسبة الفوق إليه في قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[3]. ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾[4]. فله الفوق وله التحت.

ويقول ابن عربي: المعرفة لا تنال بالنظر الفكري، ولا بضرورات العقول، فلم يبق إلا أن يكون حصولها عن تجل إلهي في حضرة غيبه بمظهر من المظاهر.

فكل دليل تستدل به على معرفة الله تعالى أنت أظهر منه، لأن كل من كان له باب مفتوح في صدره ـ كما يقول جلال الدين الرومي ـ يرى في كل ذرة شمساً، فليس العلم بكثرة الرواية ـ كما يقول الإمام مالك ـ إنما هو نور يضعه الله في القلب.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه.

(٢) عبد الرحمن الصفوري: نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ج١، ص: ١٣ .

(٣) سورة النحل، الآية: ٥٠ .

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٨ .

وقد أجمل هذه المعاني ناصر الدين أحرار بقوله: إن اللسان مرآة القلب، والقلب مرآة الروح، والروح مرآة الحقيقة الإنسانية، والحقيقة الإنسانية مرآة الحق سبحانه وتعالى، والحقائق الغيبية تصل إلى اللسان من غيب الذات بقطع هذه المسافة البعيدة[١].

وعلى هذا يمكن تفسير قول الصديق رضي الله عنه: سبحان من لم يجعل للخلق طريقاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته.

فالمعرفة اللائقة به سبحانــه رهن بقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٢].

فما دامت الأبصار لا تدركه، وما دام لطيفاً؛ فكل المحاولات لن تصل إلى الحقيقة الكاملة وإن حققت برد اليقين[٣].

عن وهب بن منبه قال: قال موسى عليه السلام: يا رب إنهم سيسألون كيف كان بدؤك؟ قال فأخبرهم إني أنا قبل كل شئ وبعد كل شئ[٤].

---

(١) كامل سعفان: سبحان الله (القاهرة: دار المعارف، سنة ١٩٨٠م) ص: ٨٢ .

(٢) سور الأنعام ، الآية: ١٠٣ .

(٣) كامل سعفان: سبحان الله، مرجع سابق، ص: ٨٢ .

(٤) أبو نعيم الأصبهاني: الحلية ، ج٤، ص: ٢٧ .

الفصل الثالث

اللّه سبحانه وتعالى هو الإله الحق المستحق للعبادة

الفصل الثالث
الله سبحانه وتعالى
هو الإله الحق المستحق للعبادة

إنَّ الإيمان بالله سبحانه وتعالى إنما هو الإيمان بأنه الإله الحق المستحق للعبادة دون كل ما سواه لكونه خالق العباد والمحسن إليهم والقائم بأرزاقهم والعالم بسرهم وعلانيتهم، والقادر على إثابة مطيعهم وعقاب عاصيهم. ولهذه العبادة خلق الله سبحانه وتعالى الثقلين وأمرهم بها كما قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾(١).

وقال سبحانه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٢).

وقد أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل وأنزل الكتب لبيان هذا الحق والدعوة إليه والتحذير مما يضاده.

كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾(٣).

وقال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾(٤).

---

(١) سورة الذاريات، الآيات: ٥٦ – ٥٧ – ٥٨.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢١ – ٢٢.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

وقال عز وجل: ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۞ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾[1].

وحقيقة هذه العبادة هي إفراد الحق سبحانه وتعالى بجميع ما تعَّبد العباد به من دعاء وخوف ورجاء وصلاة وصوم وذبح ونذر وغير ذلك من أنواع العبادة على وجه الخضوع له والرغبة والرهبة مع كمال الحب له سبحانه والذل لعظمته.

وغالب القرآن الكريم نزل في هذا الأصل العظيم.

قال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۞ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[2].

وقوله سبحانه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[3].

وقوله عز وجل: ﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[4].

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا».

ولما سئل الثوري عن أول فرض فرضه الله سبحانه وتعالى على عباده ما هو؟ فقال: المعرفة لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[5].

وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية: إلا ليعرفون[6].

فقيل له: بما عرفت الله تعالى؟ قال: بالله. قيل: فما بال العقل؟ قال: العقل عاجز لا يدل إلا على عاجز مثله. ثم قال: لما خلق الله العقل قال له: من أنا، فسكت، فكلمه بنور الواحدنية، فقال: أنت الله، فلم يكن للعقل أن يعرف الله إلا بالله.

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١ – ٢.

(٢) سورة الزمر، الآيتان: ٢ – ٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٤) سورة غافر، الآية: ١٤.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٦) محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون (القاهرة: مكتبة وهبة، سنة ١٩٨٨م) ص: ٦٦.

الحمد لله الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، القديم الموجود لم يزل، الدائم الباقي بلا زوال، المتوحد بالفردانية، المنفرد بالإلهية، له الأسماء الحسنى، والصفات العلي. ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۭ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1].

العليم القدير، العليّ الكبير، الوليّ الحميد، العزيز المجيد، المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، له الخلق والأمر، وبه النفع والضر، وله الحكم والتقدير، وله الملك والتدبير، ليس له في صفاته شبيه ولا نظير، ولا له في إلهيته شريك ولا ظهير، ولا له في ملكه عديل ولا وزير، ولا له في سلطانه ولي ولا نصير، فهو المتفرد بالملك والقدرة؛ والسلطان والعظمة، لا اعتراض عليه في ملكه ولا عتاب عليه في تدبيره، ولا لوم في تقديره. خلق الخلق بقدرته، وجنسهم بإرادته، وجعلهم دليلاً على إلهيته، فكل متطور شاهد بوحدانيته، وكل مخلوق دال على ربوبيتـــه. وخلق الجن والإنس ليأمرهم بعبادته من غير حاجة له إليهم، ولا إلى أحـــد من بريته، وركب فيهم العقل الذي به يدرك دلائل قدمه ووجوده، وتوحيده وتمجيده، وحدوث غيره بإبداعه واختراعـــه، وإحداثه وإيجاده. وبعـــث منهم الرسل كما قال جل ثناؤه: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍۢ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًۭا ۝ وَرُسُلًۭا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًۭا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًۭا ۝ رُّسُلًۭا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًۭا ﴾[2].

يعنى – والله أعلم – لئلا يقولوا: نحن علمنا بعقولنا أن لنا صانعاً ومدبراً، فلم نعلم وجوب عبادته علينا ولا كيفيتها، ولا إذا عبدناه ما يكون لنا، وإذا لم نعبده ما يكون. فقطع حجتهم وبعث فيهم رسلاً يأمرونهم بعبادته، ويبينون

---

(١) سورة الشوري، الآية: ١١ .

(٢) سورة النساء، الآيات: ١٦٣ – ١٦٤ – ١٦٥ .

لهم كيفيتها، ويبشرون بالجنة من أطاعه، وينذرون بالنار من عصاه، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾[1].

وأن كل واحد من رسله بما دل على صدقه من الآيات والمعجزات التي بانيوا بها من سواهم مع استوائهم في عين ما أبدوا به[2].

ومعجزات الرسل كانت أجناساً كثيرة: وقد أخبر الله عز وجل – أنه أعطى موسى عليه السلام تسع آيات: العصا، واليد والدم، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والطمس، والبحر.

فأما العصا: فكانت حجته على الملحدين والسحرة جميعاً، وكان السحر في ذلك الوقت فاشياً، فلما انقلبت عصاه حية تسعى، وتلقفت حبال السحرة وعصيهم – علموا أن حركتها في حياة حادثة فيها بالحقيقة، وليست من جنس ما يتخيل بالحيل. فجمع ذلك الدلالة على الصانع وعلى نبوته.

وأما سائر الآيات التي لم يحتج إليها مع السحرة فكانت دلالته على فرعون وقومه القائلين بالدهر، فأظهر الله بها صحة ما أخبرهم به موسى من أن له ولهم رباً وخالقاً.

وألان الله سبحانه وتعالى الحديد لداود عليه السلام، وسخر له الجبال والطير، فكانت تسبح معه بالعشي والإشراق.

وأقدر الحق سبحانه وتعالى . عيسى بن مريم . على الكلام في المهد. فكان يتكلم كلام الحكماء، وكان يحي له الموتى، ويبرئ – بدعائه أو بيده إذا مسح – الأكمه والأبرص، وجعل له أن يجعل من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله.

---

(١) سورة طه ، الآية: ١٣٤ .

(٢) البيهقي: دلائل النبوة، ج١، ص: ٧٠ .

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(١).

ثم إنه رفعه من بين اليهود لما أرادوا قتله وصلبه. قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا * بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾(٢).

وهنا ينبغي أن نوضح أن الحق سبحانه وتعالى عصمه بذلك من أن يخلص من ألم القتل والصلب إلى بدنه، وكان الطب عاماً غالباً في زمانه، فأظهر الله سبحانه وتعالى بما أجراه على يده، وعجز الحذاق من الأطباء عما هو أقل من ذلك بدرجات كثيرة – أن التعويل على الطبائع وإنكار ما خرج عنها باطل، وأن للعالم خالقاً ومدبراً، ودل بإظهاره ذلك له، وبدعائه على صدقه.

فأما النبي المصطفي، والرسول المجتبى، المبعوث بالحق إلى كافة الخلق من الجن والإنس، وأبو القاسم: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، خاتم النبيين، ورسوله رب العالمين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين – فإن أكثر الرسل آيات وبينات وذكر بعض أهل العلم أن أعـــلام

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٠ .

(٢) سورة النساء، الآيات: ١٥٧ – ١٥٨ – ١٥٩ .

نبوته تبلغ ألفاً.

ونعتقد أن الله سبحانه وتعالى واحد في ربوبيته، واحد في ألوهيته، واحد في أسمائه وصفاته. فلا خالق ولا رازق ولا محي ولا مميت ولا مدبر للأمور سواه. ولا معبود بحق في الوجود إلا هو، وهذا معنى: «لا إله إلا الله». له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، كما أثبتها لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله، بلا تكييف، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تعطيل.

وأن الله سبحانه وتعالى – فوق سمواته، على عرشه، علا في خلقه، وهو سبحانه – معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(١).

قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۞ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾(٢).

ونعوذ بالله من أن نظن أن السماء تقله أو تظله، فهو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، وقد وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم.

ونعتقد أن عبادة غير الله شرك أكبر، وأن دعاء غير الله من الأموات والغائبين، وحبه كحب الله، وخوفه ورجاه، ونحو ذلك شرك أكبر، وسواه دعاه دعاء عبادة، أو دعاء استعانة في شدة أو رخاء، فإن الدعاء مخ العبادة، وسواء دعاه لجلب نفع، أو دفع ضر، أو دعاه لطلب الشفاعة، أو ليقربه إلى الله، أو دعاه تقليداً لآبائه أو أسلافه أو لغيرهم. والأدلة على ذلك في كتاب الله كثيرة جداً.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠. (٢) سورة الملك، الآيتان: ١٦– ١٧.

منها قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[2]

فالله سبحانه وتعالى خلق عباده حنفاء، والحنيف هو المائل إلى الله، المعرض عن غيره، فهم بفطرته يميلون إلى ربهم، ويشتاقون إليه، ولا يقر لهم قرار إلا بمعرفته، وتوحيده، ومحبته، وطاعته، ولا يجدون سعادة في هذه الدنيا إلا إذا توجهت قلوبهم، وجوارحهم إلى خالقها، وبارئها، وفاطرها دون من سواه. وإنما الشقاء في هذا العالم يرجع إلى توجيه القلوب إلى وجهة أخرى غير ما فطرت عليه وإعراضها عن ذكر ربها.

قال عز وجل: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[3].

ولهذا كان أعظم نعيم في هذه الدنيا حب الله، وعبادته، والأنس به، والشوق إليه، كما أن أعظم نعيم أهل الجنة في النظر إلى وجهه الكريم، لذا جمع بينهما الرسول ﷺ في دعائه: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة»[4].

ومن رحمة الله، وفضله على عباده ـ أن جعل أول واجب عليهم معرفته، وتوحيده، وعبادته بكل أنواع العبادة، بل جعل غاية حياتهم ووجودهم في إفراده بالعبادة.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ *

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٣) سورة طه، الآيتان: ١٢٣- ١٢٤.

(٤) هذا حديث صحيح الإسناد رواه النسائي وأحمد والحاكم من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(1).

ومن أجل هذا أرسل الرسل، ومن أجل هذا أنزل عليهم الكتب، ومن أجله قام الصراع بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، ومن أجله؛ وعليه تنصب الموازين يوم القيامة، وتؤخذ الكتب باليمين أو الشمال، وينقسم الناس إلى فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير.

فالتوحيد إذن فرض عين على كل مكلف أن يعلمه، ويأتي به قبل الصلاة، والزكاة، ولذا كان أول دعوة الرسل، وأتباع الرسل.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾(2).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(3).

وفي حديث بعث معاذ إلى اليمن، قال رسول الله ﷺ: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكون أول ما تدعون إليه: شهادة أن لا إله إلا الله». وفي رواية: فادعهم إلى أن يوحدوا الله، فإذا هم عرفوا الله، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات.»(4).

فتبين بهذا ما يجب على الدعاة إلى الله من البدء بالدعوة إلى التوحيد، وبيانه للناس حتى أولئك الذين يزعمون أنهم يعرفون ربهم، ولكنهم في الحقيقة يشركون به، فالمعلوم أن أهل الكتاب يقرون وجود الله ويزعمون توحيده، ومعرفته، ومع ذلك أمر النبي ﷺ معاذاً أن يدعوهم لتوحيد الله، وقال لهم: فإذا هم عرفوا الله، فدل على أن من لم يوحد الله لم يعرفه وإن أقر

---

(1) سورة الأنعام، الأيتان: 162- 163.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 25.

(3) سورة النحل، الآية: 36.

(4) رواه البخاري وميلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد من حديث عبد الله بن عباس.

بوجوده، وأقر ببعض أسمائه وصفاته.

وتوحيد الله معناه: اعتقاد أنه وحده الرب الإله المعبود، لا شريك له، ونفي المثل والنظير عنه، والتوجه إليه بالعبادة، وإفراده بالعبادة، فإن الله سبحانه وتعالى هو الحكيم في شرعه، وفي قدره لا يخلق شيئاً عبثاً، ولا يترك خلقه سدي، ولا كان لاعباً سبحانه.

قال تعالى: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾[1]. أي ما كنا فاعلين.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴾[2].

فله الحكمة التامة فيما شرعه للناس، وأمرهم به، وخلقهم من أجل ما أن يفعلوه بإرادتهم التي خلقها لهم، وهذه هي الحكمة الشرعية.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[3]. فبين الحكمة العظيمة من تحريم الخبائث.

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ ﴾[5].

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية: ١٧ .

(٢) سورة الدخان ، الآية: ٣٨ .

(٣) سورة المائدة ، الآيتان: ٩٠- ٩١ .

(٤) سورة البقرة ، الآية: ١٨٣ .

(٥) سورة الحشر ، الآية: ٧ .

ونحو ذلك مما يبين الله فيه حكمته في تشريع الشرائع، والمصالح في الأوامر، والمضار في النواهي التي حرمها، فهذه الحكمة متعلقة بما يحبه الله ويرضاه.

وهناك نوع آخر من الحكمة، وهي الحكمة الكونية القدرية، وهي متعلقة بكل ما يوجده الله، ويخلقه، سواء كان محبوباً لله أو مبغوضاً، خيراً كان أو شراً، فله الحكمة التامة في قضائه وقدره، خيره وشره.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾(١).

فبيــن حكمتـــه في تقدير البلاء على المؤمنين، ولم سلط عليهم أعداءهم فيحصل الخير لهم، والشر لأعدائهم بحكمته تعالى وعلمه.

وكما قال عز وجل: ﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ ﴾(٢).

وكما قال رسول الله ﷺ في دعائه: «والخير كله في يديك والشر ليس إليك»(٣).

فليس في صفات الله، ولا في أفعاله شر أبداً، بل ما يخلقه من الشر يترتب عليه بحكمته أنواع من الخير، لا يحصيها سواه، فالشر نسبي لمن فعله واختاره، وأما عاقبته في الجملة، فالخير كل الخير إن كان صاحبه تاب ورجع، فالخير له: تبدل سيئاته حسنات، ويفرح الله بتوبته ورجوعه إليه.

ومن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. ومن الإيمان بالله أيضاً الإيمان بجميع ما أوجبه على عباده وفرضه عليهم من أركان الإســلام

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٤٠- ١٤١.

(٢) سورة محمد، الآية: ٤.

(٣) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الخمسة الظاهرة وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا، وغير ذلك من الفرائض التي جاء بها الشرع المطهر. وأهم هذه الأركان وأعظمها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فشهادة أن لا إله إلا الله تقتضي إخلاص العبادة لله وحده ونفيها عما سواه، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، فإن معناها لا معبود بحق إلا الله فكل ما عبد من دون الله من بشر أو ملك أو جني أو غير ذلك فكله معبود بالباطل، والمعبود بالحق هو الله وحده كما قال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ ﴾(١).

ولقد خلق الله سبحانه وتعالى الثقلين لهذا الأصل الأصيل وأمرهم به، وأرسل به رسله، وأنزل به كتبه.

ومن الإيمان بالله سبحانه وتعالى، الإيمان بأنه خالق العالم ومدبر شؤونهم والمتصرف فيهم بعلمه وقدرته كما شاء سبحانه وأنه مالك الدنيا والآخرة ورب العالمين جميعاً لا خالق غيره، ولا رب سواه، وأنه أرسل الرسل وأنزل الكتب لإصلاح العباد ودعوتهم إلى ما فيه نجاتهم وصلاحهم في العاجل والآجل، وأنه سبحانه وتعالى لا شريك له في جميع ذلك.

كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾(٣).

---

(١) سورة الحج ، الآية: ٦٢ .

(٢) سورة الزمر ، الآية: ٦٢ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية: ٥٤ .

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنـت خلف النبي ﷺ فقال لي: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله ؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشركوا به شيئاً. قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس. قال: لا تبشرهم فيتكلوا.»(١).

وحق الله على العباد أن يعبدوه، أي يطيعوه فينفذوا ما أمر به ويجتنبوا نواهيه حتى يفوزوا بشرف العبودية لله عز وجل. وكيف لا يعبدوه وقد خلقهم لهذا الشرف العظيم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٢).

ومن أجل ذلك فقد أرسل الله سبحانه وتعالى رسله لكي يأمروهم بهذا على لسان الله تعالى. وحسب العاقل المكلف أن يعلم أن الله يستحق منه أن يعبده فقد تفضل عليه بنعم لا تحصى ولا تعد كما سخر كل شئ في هذا الوجود لخدمته وتيسير مصالحه الدنيوية والأخروية(٣).

إن من أهم واجب على المكلف وأعظم فريضة عليه أن يعبد ربه سبحانه وتعالى رب السموات والأرض ورب العرش العظيم القائل في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾(٤).

وأخبر سبحانه وتعالى في موضع آخر من كتابه أنه خلق الثقلين لعبادته

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦ .

(٣) طه عبد الله العفيفي: الحقوق الإسلامية (القاهرة: دار التراث العربي، الطبعة الأولى، سنـة ١٩٨٥م) ص: ٢٤- ٢٥ .

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٤ .

فقال عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1].

وهذه العبادة هي التي خلق الله الثقلين من أجلها هي توحيده بأنواع العبادة من الصلاة والصوم والزكاة والحج والركوع والسجود والطواف والذبح والنذر والخوف والرجاء والاستغاثة والاستعانة وسائر أنواع الدعاء. ويدخل في ذلك طاعته سبحانه في جميع أوامره وترك نواهيه على ما دل عليه الكتاب الكريم وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم. وقد أمر الله سبحانه وتعالى جميع الثقلين بهذه العبادة التي خلقوا لها وأرسل الرسل جميعاً وأنزل الكتب لبيان هذه العبادة وتفصيلها والدعوة إليها والأمر بإخلاصها لله وحده.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾[3].

ومعنى قضى في هذه الآية أمر وأوصى.

وقال تعالى:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[4].

والآيات في هذا المعنى في كتاب الله كثيرة.

وقال عز وجل:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[5].

وقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى

---

(١) سورة الذاريات ، الآية: ٥٦ .

(٢) سورة البقرة ، الآية: ٢١ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية: ٢٣ .

(٤) سورة البينة ، الآية: ٥ .

(٥) سورة الحشر ، الآية: ٧ .

ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾[5].

فهذه الآيات المحكمات وما جاء في معناها من كتاب الله تعالى كلها تدل على وجوب إخلاص العبادة لله وحده وأن ذلك هو أصل الدين وأساس الملة كما تدل على أن ذلك هو الحكمة في خلق الجن والإنس وإرسال الرسل وإنزال الكتب، فالواجب على جميع المكلفين العناية بهذا الأمر والتفقه فيه والحذر مما وقع فيه الكثيرون من المنتسبين إلى الإسلام من الغلو في الأنبياء الصالحين والبناء على قبورهم وإتخاذ المساجد والقباب عليها سؤالهم والاستعانة بهم واللجوء إليهم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكروب وشفاء المرضى والنصر على الأعداء إلى غير ذلك من أنواع الشرك الأكبر[6].

وفي صحيح البخاري عن ابن مسعـــود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

---

(١) سورة النساء ، الآية: ٥٩ .

(٢) سورة النساء ، الآية: ٨٠ .

(٣) سورة النحل ، الآية: ٣٦ .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية: ٢٥ .

(٥) سورة هود ، الآيتان: ١- ٢ .

(٦) عبد العزيز عبد الله بن باز: العقيدة الصحيحة وما يضادها (المملكة العربية السعودية، الطائف: مكتبة الطرفين، سنة ١٤١١هـ) ص: ٢٢- ٢٤ .

«من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار».

وأخرج مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار».

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. وهذه المسألة هي من أهم المسائل وأعظمها وقد بعث الله نبيه محمد ﷺ بالدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك فقام بتبليغ ما بعثه الله به عليه الصلاة والسلام أكمل قيام وأوذي في الله أشد الأذى فصبر على ذلك وصبر معه أصحابه رضي الله عنهم بتبليغ الدعوة حتى أزال الله من الجزيرة العربية جميع الأصنام والأوثان ودخل الناس في دين الله أفواجاً وكسرت الأصنام التي حول الكعبة وفي داخلها وهدمت اللات والعزى ومناه وكسرت جميع الأصنام التي في قبائل العرب وهدمت الأوثان التي لديهم وعلت كلمة الله، وظهور الإسلام في الجزيرة العربية، ثم توجه المسلمون بالدعوة والجهاد إلى خارج الجزيرة وهدى الله بهم من سبقت له السعادة من العباد، ونشر الله بهم الحق والعدل في غالب أرجاء المعمورة وصاروا بذلك أئمة الهدى وقادة الحق، ودعاة العدل، والإصلاح، وسار على سبيلهم من التابعين وأتباعهم بإحسان أئمة الهدى ودعاة الحق ينشرون دين الله ويدعون الناس إلى توحيد الله ويجاهدون في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم لا يخافون في الله لومة لائم، فأيدهم الله ونصرهم وأظهرهم على من ناوأهم ووفى لهم بما وعدهم به في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾(١).

الإنسان هو محور هذا الكون وعلى قمة مخلوقاته جميعها وموضع التكريم، ومحل العناية الإلهية فيه، خلقه الله في أحسن تقويم، وصوره فأحسن

---

(١) سورة محمد، الآية: ٧.

صورته، وأفاض عليه من فضله ورعايته إفاضة لا تتوقف ورعاية لا تتناهى، إذ هو خليفة الله في الأرض، والمسئول عن الوفاء بواجبات العبودية لله فيها، استجابة لذلك العهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى على الأرواح في عالم الأشباح يوم خرجت من صلب آدم عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[1]

ومهما يكن من شئ فإن الله تعالى خلق الإنسان وشاء أن تكون هذه الأرض مستقراً له إلى وقت معلوم. وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[2].

فهو في هـذه الأرض صاحب رسالة قد ائتمنه الله عليها ليعمرها ويستخرج خيراتها وينعم بطيباتها، لا ليزهد فيها وينصرف عنها. وهذا هو معنى الاستخلاف في قوله تعالى: ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[3].

على أن هذا الاستخلاف لا يخلوا من الابتلاء ولا ينجو من الامتحان، فقد أراد الله سبحانه وتعالى لهذا الإنسان وقد خصه بالعقل، وهداه إلى الخير بالبينات والرسل أن تعاني نفسه من الصراع بين نوازع الخير ونوازع الشر فيما هو مسئول عنه ومستخلف فيه، وهو صراع تكتمل من خلاله شخصية الإنسان وترتقي من ناحيتين الروحية والمادية فيتهيأ لحياة أخرى غير هذه الحياة، يلقى المحسن فيها جزاء إحسانه، وينال المسيء فيها وحده عاقبة ما كسبت يداه من شر وما اقترف من ذنب وإثم. وهذا المعنى الجليل هو ما ازدحمت به صفحات الكتب السماوية. وجاءت الرسل تترى وتتابع تنير الطريق ، وتفسح السبيل أمام العقل البشري للوصول إلى الله كلما احتجب

(١) سورة الأعراف ، الآية: ١٧٢ .

(٢) سورة البقرة ، الآية: ٣٦ .

(٣) سورة البقرة ، الآية: ٣٠ .

الإنسان بشهواته وأهوائه عن رؤية الحقيقة، وذهب به ريح الحياة كل مذهب.

ولعل أهم وأخطر ما بعث من أجله الرسل وأنزلت الكتب وجردت سيوف القتال وسالت من أجله دماء الملايين من الشهداء هو التمكين لشعـــار: «لا عبودية إلا لله».

وبمعنى أوضح «لا إله إلا الله» وإقامة مقتضياتها في الأرض كلها من تصورات اعتقادية وشعائر تعبدية وشرائع قانونية وقيم أخلاقية واعتبارات إنسانية، ليقف البشر كلهم علت أقدارهم أو تواضعت منازلهم في مقام واحد هو مقام العبودية لله على قدم المساواة، ولم لا؟ وأصل النشأة والتكوين من الطين والتراب والمنتهى والمصير والمآب إلى التراب، والسؤال والحساب يلحق بالخلائق على قدم المساواة، يستوي في ذلك الرسل والأنبياء والملوك والسوقة والأكابر والأصاغر.

قال تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1].

فلا عبودية إلا لله سبحانه وتعالى.

ولاشك أن أمانة الإقرار بالربوبية لله وحده والاعتراف بالعبودية لسائر البشر تضمن الحقائق الآتية:

(١) أن الله سبحانه وتعالى هو صاحب السلطان المطلق الذي لا يحده حد ولا يلحقه قيد يفعل ما يشاء، ويدع ويترك ما يريد وفق مشيئته وتدبيره وقدرته وعظمته، وعدله ورحمته واستدامة ملكه وتأكيد سلطانه فهو سبحانه فعال لما يريد. وهو سبحانه يجير ولا يجار عليه. وليس هذا السلطان المطلق الثابت لله ثابت لأحد غيره في عالم الغيب والشهادة وعالم الملك والملكوت.

(٢) وهو سبحانه وتعالى وحـــده غير المسئول عن أفعاله وأعماله مصداقاً

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٦.

لقوله تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[1].

(٣) وأنه سبحانه وتعالى وحده يملك كل شئ ويخضع لهيمنته وسيطرته كل شئ. وبيده وقدرته كل شئ. وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[2]. ويقول تعالى منبهاً أفراد الإنسان إلى عجزهم وضعفهم تجاه خالقهم وبارئهم فيقول تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[3].

(٤) وهو وحده المنزه عن الخطأ تقدست أفعاله وأعماله الملك القدوس السلام.

ويترتب على تلك الحقيقة الكبرى . لا عبودية إلا لله . بمقتضياتها وحقائقها المشار إليها أن يرفض الإنسان المؤمن الخضوع والانقياد والاستسلام لبشر مثله جمعته وإياه وحدة الوقوف في مقام العبودية لله.

فالله سبحانه وتعالى هو المالك والمعين والمدبر للأمور، والخالق والرازق والمحيي والمميت، والمتصرف في شئون العباد بالتدبير والتشريع والأمر والإرشاد.

وهو الإله المعبود: أي الذي نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً أي نعبده ونصلي له ونطيعه ونسأله قضاء حوائجنا، ولا يستحق العبادة إلا من كان رباً خالقاً رازقاً قادراً على تحقيق المطالب. ولأنه لا يرزق ولا يخلق ولا يقدر على تدبير الأمور إلا الله، فلا يستحق العبادة إلا الله.

أي لا يستحق أن يكون إلهاً معبوداً إلا من كان رباً قادراً ولا يكون ذلك إلا الله رب العالمين.

ولذلك نجد أن الكفار كانوا يؤمنون بالله وحده رباً، يقول الله تعالى:

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية: ٢٣ .

(٢) سورة يس ، الآية: ٨٣ .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية: ٢٢ .

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾(١).

ولكنهم جعلوا معه شركاء في إلاهيته. أي في العبادة، وكانوا يعبدون معه غيره ويظنون أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، يقول الله تعالى حاكياً عنهم: ﴿ نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾(٢).

فالطاعة المطلقة لا تكون إلا لله وحده. أي الطاعة بمجرد سماع الأمر دون السؤال عن حكمة الأمر وسببه، وهكذا يجب أن يكون حال المؤمنون مع ربهم يقولون: سمعنا وأطعنا فلا يطيعون إلا الله، ولا يطيعون أحداً من خلقه إلا أن يكون يأمرهم بطاعة الله، أما طاعة الوالدين فتكون لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بطاعتهم، فإن أمرونا بشئ فيه معصية لله فلا نطعهما، وكذلك كل مخلوق. وفي هـــذا قول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(٣).

ويقول ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»(٤).

والعبادة لله سبحانه وتعالى هي كل ما يحبه الله ويرضى عنه قولاً كان أو فعلاً، وسواء أكان هذا القول أو الفعل ظاهراً أو مازال خفياً في النية.

والقرآن الكريم.. إذا استعرضت ما فيه من الأوامر، وما يشتمل عليه من النواهي.. رأيت أكثرها دعوة صريحة إلى الله سبحانه وتعالى، وإلى عبادتـــه

(١) سورة آل عمران ، الآيات: ٨٤ : ٨٩ .

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣ .

(٣) سورة النساء ، الآية: ٥٩ .

(٤) رواه الترمذي بسند صحيح.

وتوحيده وتقديسه ومراقبته.

يقول جل ذكره: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[2].

ويقول جل وعلا: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾[3].

ويقول عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ ﴾[4].

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾[5].

ويقول تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾[6].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[7].

ويقول الحق تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۞ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[8].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥ . (٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢ . (٣) سورة مريم، الآية: ٦٥ .
(٤) سورة هود، الآية: ١٢٣ . (٥) سورة طه، الآية: ١٤ . (٦) سورة النساء، الآية: ٣٦ .
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨ . (٨) سورة الحج، الآيتان: ٧٧- ٧٨ .

فهذه الآيات الصريحة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وفي الأمر بعبادته وتقديسه. وفي بيان عظمته وقوته وقدرته. وأنه مستحق لكل كمال، منزه عن كل نقص. وأنه رب كل شئ، وخالق كل شئ، وأنه هو الذي يعبد وحده دون سواه.

ويقول الله سبحانه وتعالى موجهاً ومرشداً وناصحاً وآمراً بالإخلاص في العبادة: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾(1).

إن الهدف الأسمى، والمقصد الأعلى الذي خلقنا الله له، وأوجدنا من أجله كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(2).

وقال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾(3).

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾(4).

من هنا كان الأمر الذي من أجله بعث الله الرسل لإعادة الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد. ذلكم هو الهدف الأسمى الذي أوجد الله من أجله الثقلين: الجن والإنس. فكل عاقل في هذا الوجود يعرف أنه مخلوق لخالق، ومربوب لرب أوجده بعد أن لم يكن(5).

لو طرح سؤال مفاده: لماذا خلقت في هذه الحياة ؟ ولماذا فضلت على سائر الكائنات الأخرى ؟ وما هي مهمتك في هذه الحياة ؟.. فإن الجواب عند

(1) سورة الزمر ، الآيات: 11- 14 .

(2) سورة الذاريات ، الآية: 56 .

(3) سورة الزمر ، الآية: 2 .

(4) سورة البينة ، الآية: 5 .

(5) صالح بن سعد السحيمي: منهج السلف في العقيدة وأثره في وحدة المسلمين (الإسكندرية: دار البصيرة، بدون تاريخ) ص: 14 .

المؤمن حاضر بكل بساطة. إن كل صانع يعرف سر صنعته، لماذا صَنعها.. ولماذا صَنعْها على نحو معين دون غيره ؟

والله سبحانه وتعالى هو صانع الإنسان وخالقه، ومدبر أمره.

فلنسأله: يا رب، لماذا خلقت هذا الإنسان ...؟

هل خلقته لمجرد الطعام والشراب ..؟

هل خلقته للهو واللعب ..؟

هل خلقته لمجرد أن يمشي على التراب، ثم يعود كما كان للتراب، فإذا لم يكن الأمر كذلك فما سر هذه القوى والملكات التي أودعها الله الإنسان من عقل وإرادة ونفس وروح ؟

لقد جاء جواب ذلك بما يشفي، ويكفي في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، حيث نص تبارك وتعالى على أنه خلق هذا الإنسان ليكون خليفة في الأرض.

قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١).

وهذه الخلافة معناها أن يعرف الإنسان ربه حق معرفته، ويعبده حق عبادته.

وإذن، فالجواب البديهي الذي تنطق به الفطرة في هذا الكون: أن الإنسان عبد لله خُلق لذلك، وسخر الله له ما في السموات وما في الأرض، من أجل تحقيق هذا الغرض.

ومن هنا يعلم كل ذي فطرة سليمة، وعقل متجرد، أن عبادة الإنسان، لقوى الطبيعة ومظاهرها من فوقه، ومن تحته، كالشمس، والقمر، والنجوم،

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ٣٠ .

والأنهار، والأبقار، والأشجار، ونحوها، قلب للوضع الطبيعي، وانتكاس بالإنسان أي انتكاس !!.

والإنسان إذن، بحكم فطرته، ومنطق الكون، إنما هو مربوب لله سبحانه وتعالى لا لغيره، لعبادته وحده، لا لعبادة بشر، ولا حجر، ولا بقر، ولا شجر، ولا شمس، ولا قمر، وكل عبادة لغير الله إنما هي من تزيين الشيطان عدو الإنسان. ولذا نرى أول نداء يوجهه الله لرسله هو الأمر بعبادته، وبيان أنه لا إله غيره، ولا رب سواه.

قال تعالى: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[1].

هذه العبادة لله وحده هي العهد القديم الذي أخذه الله على بني الإنسان، ورسخه في فطرهم البشرية، وغرسه في طبائعهم الأصلية، منذ خلقهم، وصورهم، وجعلهم في أحسن تقويم، وأوجد فيهم العقل الواعي، الذي يتميزون به على سائر الكائنات، وجعل كل ما حولهم من الآيات البينات دليلاً قاطعاً على وحدانيته سبحانه وإفراده بكامل العبودية، وأخذ العهد عليهم حيث قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[2].

هذا العهد بين الله وعباده، هو الذي صوره القرآن في أروع صورة وبلاغة، حين قال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ * أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة هود، الآية: ٥٠.

(٢) سورة يس، الآيتان: ٦٠- ٦١.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ١٧٢- ١٧٣.

ولا عجب أن يكون النداء الأول لكل رسول: ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[1].

جاء في العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ما خلاصته: بهذا دعا قومه: نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وكل رسول بعث إلى قوم مكذبين.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾[5].

وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ بذلك فقال: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[6]. أي الموت.

كما قال تعالى على لسان قوم: ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾[7]. وهو الموت. فالتكليف بالعبادة لازم له حتى يلقى ربه.

وقال تعالى في شأن عيسى بن مريم الذي رفعه قومه إلى مرتبة الألوهية: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ

---

(١) سورة هود ، الآية: ٥٠ .

(٢) سورة النحل ، الآية: ٣٦ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية: ٢٥ .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية: ٩٢ .

(٥) سورة المؤمنون ، الآيتان: ٥١- ٥٢ .

(٦) سورة الحجر ، الآية: ٩٩ .

(٧) سورة المدثر ، الآيتان: ٤٦- ٤٧ .

عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[2].

ويعرض لنا القرآن الكريم مشهداً من مشاهد يوم الحشر، يسأل الله فيه المسيح عليه السلام عما نسبوه إليه، وافتروا عليه. فيجيب في أدب العبودية متبرئـاً مما صنعـوه: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۞ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[3].

فالأديان كلها دعوة إلى عبادة الله وحده. والأنبياء جميعاً أول العابدين لله. فعبادة الله وحده هي إذن مهمة الإنسان الأولى في الوجود كمـا بينت ذلك كل الرسالات، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾[4].

فقد دلت الآية الكريمة وما في معناها على وحدة الهدف والعقيدة التي هي محور دعوة جميع الرسل من لدن نوح عليه الصلاة والسلام إلى خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين ليخرجَ الناس من الظلمات

---

(١) سورة النساء ، الآية: ١٧٢ .

(٢) سورة النساء ، الآية: ١٧٣ .

(٣) سورة المائدة، الآيتان: ١١٦– ١١٧ .

(٤) سورة الشورى ، الآية: ١٣ .

إلى النور، ولينقذهم من أوحال الشرك، وأدران الوثنية، فكان بذلك نبراساً للأمة ينير لها الطريق، ومشعلاً: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١).

قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٥).

ومما ينبغي أن يفهم أن المحبة لا تنافي الخشية والمخافة، بل الخوف لازم للمحبة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذ ليس عند القلب السليم أحلى، ولا ألذ، ولا أطيب ولا أثر، ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله، ومحبته له، وإخلاص الدين له.

ويقول ابن تيمية إن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب فإن غاية الذل لله غاية المحبة له.

والإنسان مخلوق من أجل الطاعة والعبادة فقط كما جاء في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٦).

فالعبودية هي القرب من الله سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٥) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٦) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

والعبودية تقارنها الفضيلة والسعادة، والتي ترد على الإنسان كرامته وترفع منزلته. إنها عبوديتنا لله الذي خلق الإنسان من العدم، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنته. تلك العبودية التي ننحني بها لله ثم نرفع جباهنا فلا نذل لجبار في الأرض أبداً، مهما علا، ونسير في الطريق إلى الخير في الدنيا والآخرة فلا تقف أمامنا عقبة أبداً.

يقول ابن تيمية: المخلوقون كلهم عباد الله الأبرار منهم والفجار، والمؤمنون والكفار، وأهل الجنة وأهل النار، إذ هو ربهم كلهم ومليكهم، لا يخرجون عن مشيئته وقدرته،.. فهو سبحانه رب العالمين وخالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم.. ويصرف أمورهم، لا رب لهم غيره ولا مالك لهم سواه.. سواء اعترفوا بذلك أو أنكروا، وسواء علموا ذلك أو جهلوه، لكن أهل الإيمان منهم عرفوا ذلك وآمنوا به بخلاف من كان جاهلاً بذلك أو جاحداً له مستكبراً على ربه.

وكأن ابن تيمية يريد أن ينبه إلى أن العبودية لله نوعان:

عبودية قسرية تتمثل في كون الله ربنا ومالكنا وكوننا خاضعين للقوانين التي جرى عليها الكون والسنن التي نظم بها الخليقة، فنحن عباد الله بهذا المعنى شئنا أم أبينا.

وهناك نوع آخر من العبودية نستطيع أن نسميه الخضوع الإرادي أو الانقياد الشرعي، وهو الإقرار لله وحده بالعبادة والطاعة فيما شرعه لنا من قوانين لا تصبح نافذة وجارية في الواقع إلا بتدخل من إرادتنا، وهو ما يعبر عنه ابن تيمية بعبودية الإلهية.

فالإنسان لا ينفك عن وصف العبودية، لأنه كائن حي ذو حاجات ومطامع ولأن له قلباً.. فإما أن يكون عبداً لله، وإلا فهو عبد لغيره.

وبتعبير آخر إن لم يكن عبداً لله استعبدته حاجاته ومطامعه وأهواؤه وشهواته، وطواغيت الجن والأنس، وما يزينون لبني آدم من معبودات.

ومن هنا يتضح أن العبودية لله تحررهم من كل عبودية أخرى شعروا بها أم لم يشعروا، رضوا بها أم سخطوا.

وهنا يبلغ ابن تيمية أعماق الحقيقة النفسية حين يقول: الحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب، كما أن الغني غني النفس.

ويقول في موطن آخر: الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده، فالقلب عبده. وكلما ازداد القلب حباً لله ازداد له عبودية، وكلما ازداد له عبودية ازداد له حباً وحرية عما سواه.

ونظرية ابن تيمية في العبودية هي في الوقت نفسه نظرية في الأخلاق والفضيلة.

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن عباده المخلصين هم الذين ينجون من السيئات التي زينها الشيطان.

قال تعالى في حق يوسف عليه السلام: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[1].

ومن كانت عبوديته لله وجهاده في سبيله، فعمله كله فضيلة.

والعبودية لله حسبما يقرر ابن تيمية نظرية في السعادة فلا أسعد ممن كان عبداً لله ولا أشقى ممن عبد غير الله.

إن القلب كما يقول ابن تيمية إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له لم يكن عنده شئ قط أحلى من ذلك ولا ألذ ولا أمتع ولا أطيب.

وهنا نتسائل: ومن كان عبداً لغير الله، كيف يكون عزيزاً ؟! وكيف يكون سعيداً ؟! سواء في دنياه أم في أخراه ؟!

---

(١) سورة يوسف ، الآية: ٢٤ .

ويقول ابن تيمية في عرض هذا الجانب من نظريته: القلب فقير بالذات إلى الله من جهتين: من جهة العبادة وهي العلة الغائية، ومن جهة الاستعانة والتوكل وهي العلة الفاعلة، فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يسر ولا يلذ ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحده والإنابة إليه.

(١) سورة النساء ، الآية: ١٧٢ .

الفصل الرابع

الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات البشر

الفصل الرابع
الله سبحانه وتعالى
منزه عن صفات البشر

إن الحق سبحانه وتعالى منزه عن صفات البشر. من هنا لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بالجهل والشك والظن وغلبة الظن والسهو والنسيان والسِّنة والنوم والغلبة والغفلة والعجز والموت والخرس والصمم والعمى والشهوة والنفور والميل والحرد والغيظ والحزن والتأسف والكمد والحسرة والتلهف والألم واللذة والنفع والمضرة والتمني والعزم والكذب. ولا يجوز أن يسمى إيماناً خلاف ما قالت السالمية، وتعلقهم بقوله عــز وجل: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾[1]. محمول على أنه من يكفر بوجوب الإيمان، كان كمن كفر بالرسول، وما جاء به ﷺ من الله عز وجل من الأوامر والنواهي[2].

ولا يجوز أن يوصف عزَّ وجل بالحدود ولا النهاية، ولا القبل ولا البعد، ولا تحت ولا قدام، وخلف، ولا كيف، لأن جميع ذلك ما ورد به الشرع إلا ما ذكرناه من أنه على العرش استوى، على ما ورد به القرآن والأخبار، بل هو عز وجل خالق لجميع الجهات، ولا يجوز عليه الكمية.

ولا يجوز أن يسمى فاضلاً وعتيقاً وفقيهاً ولا فهيماً ولا فطناً ولا محققاً وعاقلاً وموقراً ولا طيباً، ولا عادياً، لأن ذلك منسوب إلى زمن عاد وهو محدث ولا مطيقاً، لأنه خالق كل طاقة وهي متناهية؛ ولا محفوظاً لأنه هو الحافظ، ولا يجوز وصفه بالمباشرة؛ ولا يجوز وصفه بأنه مكتسب، لأن ذلك

(١) سورة المائدة ، الآية: ٥ .

(٢) الجيلاني: الغنية، ج١، ص: ٨١ .

محدّث بقدرة محدثة، والله تعالى منزّه عن ذلك، ولا يجوز عليه العدم وهو قديم بلا قدم، ولا أوّل لوجوده، خلاف ما قال ابن كلاب من أنه قديم بقدم، وهو باقي لا ببقاء، وهو عز وجل عالم بمعلومات غير متناهية، قادر بمقدورات غير متناهية، خلاف ما أذاعت المعتزلة من أن كل ذلك متناه.

وأما الصفات التي يجوز وصفه عزّ وجلّ بها: الفرح والضحك والغضب والسخط والرضا[١].

ويجوز وصفه بأنه موجود لقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾[٢].

ويجوز وصفه بأنه شئ لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾[٣].

ويجوز أن يوصف بأنه نفس وذات وعين من غير تشبيه بجارحة الإنسان.

ويجوز وصفه بأنه كأن من غير حدّ لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾[٥].

ويجوز وصفه بأنه قديم وباقي، وبأنه مستطيع، لأنه معنى الاستطاعة القدرة، وهو موصوف بالقدرة. ويجوز وصفه بأنه عارف ومتين وواثق ودار، لأن جميع ذلك راجع إلى معنى العالم، ولم يرد الشرع بمنع ذلك ولا اللغة، بل قال الشاعر:

اللهم لا أدري وأنت الداري

ويجوز وصفه بأنه راء ويرجع إلى معنى العالم ؛ ويجوز وصفه بأنه

---

(١) الجيلاني: الغنية، ج١، ص: ٨١ .

(٢) سورة النور ، الآية: ٣٩ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية: ١٩ .

(٤) سورة الأحزاب ، الآية: ٤٠ .

(٥) سورة الأحزاب ، الآية: ٥٢ .

مطلع على خلقه وعباده بمعنى عالم بهم، وكذلك واحد بمعنى عالم؛ ويجوز وصفه بأنه جميل ومجمل، يعني في الصنع إلى خلقه؛ ويجوز وصفه بأنه ديان، على معنى أنه مجاز لعباده على أفعالهم. ويجوز أنه مقدر على معنى التقدير. قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾(٢).

وعلى معنى الخبر قال تعالى: ﴿ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴾(٣).

أي أخبرنا لوطاً عليه السلام أن امرأته من الباقين في العذاب من دون أهله، ولا يجوز أن يكون معناه الظنّ والشكّ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولا يجوز وصفه بأنه ناظر على معنى أنه راء مدرك للأشياء، لا على معنى أنه نثر ومفكر، تعالى ربنا عن ذلك علواً كبيراً، ويجوز وصفه بأنه شفيق على معنى الرحمة والتعطف لخلقه، لا على معنى التثبيت في الأمور والإجمال في إصلاحها والسلامة من عواقبها، ويجوز وصفه بأنه سخي كما يجوز وصفه بأنه كريم وجواد معنى الكل التفضل والإحسان إلى خلقه ولا يقصد بذلك الرخاوة واللين على ما هو في اللغة مستعمل أرضية سخية وقرطاس سخي إذا كنا لينين؛ ويجوز وصفه بأنه آمرٌ وناه ومبيح وحاظر، ومحلل ومحرم وفارض وملزم، وموجب ونادب، ومرشد وقاض، وحاكم على ما ذكرناه، وكذلك يجوز وصفه بأنه واعد ومتوعد، ومخوف ومحذر، وذام ومادح، ومخاطب ومتكلم، وقائل كل ذلك، راجع إلى معنى أنه موصوف بالكلام، ويجوز وصفه بأنه معدم على معنى أنه لم يوجد ولم يفعل، وعلى معنى أنه معدم لما أوجده بعد إيجاده بقطع البقاء عنه، فينعدم بذلك، ويجوز وصفه بأنه فاعل بمعنى أنه مخترع لذات ما فعله، وخالق له، وجاعل

---

(١) سورة القمر ، الآية: ٤٩ .

(٢) سورة الأعلى ، الآية: ٣ .

(٣) سورة الحجر ، الآية: ٦٠ .

بقدرته، فاستحقّ لذلك هذا الوصف، لا على معنى المباشرة للأشياء لأن حقيقة ذلك تلاقي الأجسام ومماستها، والله سبحانه وتعالى متعال على ذلك، وكذلك يجوز وصفه بأنه جاعل على معنى أنه فاعل وفعله مفعول، كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ﴾(١). ويجـوز أن يكون الجعل بمعنى الحكم، قال عز وجل: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾(٢).

ويجوز وصفه بأنه تارك في الحقيقة كما وصف بأنه فاعل، على معنى أنه فاعل ضدّ فعله بدلاً من الأول بقدرته العامة الشاملة، لا على معنى كفّ النفس ومنعها عما يدعو إلى فعله، ويجوز وصفه بأنه يوجد على معنى أنه يخلق؟ وكذلك يجوز وصفه بأنه مكون على معنى أنه موجد؛ ويجوز وصفه بأنه مثبت على معنى أنه يوجد في الشيء البقاء والثبات.

كما قال عز وجل: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾(٤).

ويجوز وصفه بأنه عامل وصانع بمعنى خالق، ويجوز وصفه بأنه مصيب، على معنى أن أفعاله واقعة على ما قصده وأراده من غير تفاوت وتزايد وتناقص، لأنه تعالى عالم بها وبحقائقها وكيفياتها، لا على معنى أن ذلك موافق لأمر آمر أمره بفعلها، تعالى عن ذلك، ويجوز إطلاق هذه الصفة على عبد من عبيده، فيقال إنه مصيب، بمعنى أنه مطيع لربه، متبع لأمره، منته لنهيه، وكذلك إذا كان مطيعاً لمن هو فوقه ورئيسه، ويجوز وصف أفعاله عز وجل بأنها صواب على معنى أنها حق وثابت، ويجوز وصفه بأنه مثيب ومنعم، على معنى أنه يجعل المثاب منعماً معظماً؛ وكذلك يجوز وصفه

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٢.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٣.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

بأنه معاقب ومجاز، على معنى أنه يهين العاصي ويؤلمه على معصيته؛ ويجوز وصفه بأنه قديم الإحسان على معنى أنه موصوف بالخلق والرزق في القدم، قال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾[1].

ويجوز وصفه بأنه دليل، ود نصّ الإمام أحمد عليه في حقّ رجل قال له: زودّني دعوة فإني أريد الخروج إلى طرطوس، فقال له: قل يا دليل الحائرين، دلني على طريق الصادقين، واجعلني من عبادك الصالحين، ويجوز وصفه بأنه طبيب لما روي عن أبي رمثة التميمي أنه قال: كنت مع أبي عند النبي ﷺ، فرأيت على كتف النبي ﷺ مثل التفاحة، فقال أبي: يا رسول الله إني طبيب أفأطبها لك؟ قال ﷺ: طبيبها الذي خلقها.

وروي عن أبي السفر أنه قال: مرض أبو بكر رضي الله عنه فعاده جماعة، فقالوا له: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآني، قالوا: فأي شئ قال لك؟ فقال: قال لي: إني فعال لما أريد.

وكذلك يروى أن أبا الدرداء رضي الله عنه مرض، فعاودوه، فقالوا له: أيّ شئ تشتكي؟ قال: ذنوبي، فقالوا له: أي شئ تشتهي؟ فقال: الجنة، فقالوا: ألا ندعوا لك الطبيب؟ فقال: هو أمرضني.

وأنه إنما يجوز أن يدعى بما يسمى به من الأسماء التي يجوز وصفه بها، إلا أنه يجتنب في دعائه من أن يدعوه عز وجل بقوله: يا ساخر يا مستهزئ، يا ماكر يا خادع، ومبغض، وغضبان، ومنتقم، ومعاد، ومعدم، ومهلك، فلا يدعو بها وإن كان مما يجوز وصفه بها على وجه الجزاء والمقابلة لأهل الإجرام على وجه الاستخفاف.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠١.

أسماء الله وصفاته

يجب أن نوضح في هذا المقام أن جميع أسماء الله تعالى وصفاته لا يدخله الترتيب بقبل ولا بعد، ولا بأول ولا بآخر، ولا يتوقف بحد ولا بزمان، ولا يوصف بالتعقيب ولا بالتقديم ولا بالتأخير. فقوته كنه قدرته. وقدرته دوام بقائه. ومشيئته إرادته. ونظره سعة علمه، وعلمه مدى نظره، وكلامه مطلق، لا على الترتيب فيعلم بنظره، وينظر بعلمه، خزائنه في كلامه، وقدرته في مشيئته، يخلق بيده إذا شاء وبكلمته إذا شاء وبإرادته إذا شاء وبمعاني صفاته كيف شاء، ولا يضطر إلى الكلام ولا كلامه إليه. فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. وصارت الأوائل والأواخر لديه كشيء واحد، وليس هي هو، ولا هي غيره. وقوله هو أمره، وأمره هو كلامه، وكلامه نور، وهدى، وشفاء، ورحمة، وفرقان، وقرآن. وهو صفة له قديمة. والأمر غير الخلق. وقوله الحق وله الملك والأمر، والخلق جميع المخلوقات، وأمره هو قوله كن. وبكن كانت جميع المكونات من المخلوقات، وبأمره كن كانت جميع المحدثات كلها. وصدرت منه ووجدت عنه وقوله: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾[1].

فمظاهر الأسماء الإلهية قسمان: بلا واسطة كخلق السماء والأرض والملائكة، وبواسطة كالمواليد الثلاثة الحيوان والنبات والجماد. والذي لم يكن بواسطة أكبر مما كان بها. قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾[2]. هذا بالنسبة لعقولنا، وأما بالنسبة له تعالى فكل شئ عليه

---

(١) سورة الروم ، الآية: ٤ .

ابن عطاء الله السكندري: الله (القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد) ص: ٤٠- ٤١ .

(٢) سورة غافر ، الآية: ٥٧ .

هين فلا أهون ولا أكبر بل كل أفعاله مبدعة متقنة محكمة.

قال تعالى: ﴿ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَىۡءٍ ﴾[1].

وفي خلقه تعالى الناس بواسطة إشارة إلى أن هذه الحياة لابد فيها من الأسباب فهي دار السعي والعمل[2].

وقد قيل: أسماء الله تعالى من حيث الإدراك اسم ومن حيث الحق حقيقة[3].

ولقد قال أحد العلماء: العقول حقائق أسماء الذات والأرواح حقائق أسماء الصفات والنفوس حقائق أسماء الأفعال. ولكل اسم دائرة تأثير هو سلطانها وتجلياتها فيها أسباب مسبباتها فأسباب الخلق تجليات الخلائق وأسباب الرزق تجليات الرازق وقس على هذا.

وقد قيل: بوجود الموجودات: أظهر الأسماء والصفات.

والحق تعالى بذاته عن خلقه محجوب وبصفاته يتجلى في القلوب.

إن ذات الحق تعالى موجودة لطيفة لا تدركها الأبصار، ولا تكيفها العقول، وهي متصفة بصفات المعاني والمعنوية، ولو كانت صفة أو معنى كما يزعمه النصارى لم تتصف بصفات المعاني ولا المعنوية، لأن الصفة والمعنى لا يقوم بنفسه ولابد أن يقوم بغيره، والصفة لا تتصف بصفة أخرى.

ومعنى ذلك أن الذات الإلهية هي جوهر لطيف لا تدركه الأبصار، ولا تستطيع العقول الإحاطة به، ومن ثم قد اتصفت بصفات المعاني، أي اتخذت من الصفات التي تطلق على معانيها أو مجاليها أو أفعالها مظاهر يمكن أن تدرك من خلالها لأن تلك الصفات هي التي تجعل العقول تدرك صفاتها

---

(١) سورة النمل ، الآية: ٨٨ .

(٢) صالح الجعفري: أسرار الصيام للخواص والعوام، ص: ١٧ .

(٣) الشعراني: الطبقات الكبرى، ج١، ص: ٩٢ .

المعنوية من خلال ما يمكن أن تدركه من الصفات الموجودة في الحسبان على سبيل البيان أو التشبيه القائم على التشكيك ـ أي بمحض افتراض لغوي لا معنوي ـ وليس على التواطؤ، فصفاته تعالى لا يمكن أن يشترك معه فيها غيره، وإنما التمثيل يطلق من أجل إيضاح المعنى المفهوم مع الفارق، وإذا كانت تلك الصفات تطلق على الله لذاته فإنها تطلق على الإنسان لمعنى خارج عن ذاته.

ومن ناحية أخرى فإن صفاته تعالى قائمة بذاته، وليست قائمة بنفسها أولها استقلال من أي نوع ما في ذاتها على ذلك النحو الذي ذهبت إليه النصارى في القول بوجوده أقانيم ثلاثة مستقلة عن الذات، مما أدى إلى تصورهم بتجسد أقنوم العلم في شخص السيد المسيح عليه السلام.

فالصفة لا تتصف بصفة أخرى لأنها في ذاتها ما هي إلا معنى دال على الذات.

وهنا ينبغي أن نوضح أن صفات الله تعالى الثبوتية سبعة: وهي: العلم والحياة والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام. وكل صفة من هذه الصفات لها تعلق إلا الحياة فإنها ينبوع الكمالات. فالعلم يتعلق بكل واجب وجائز ومستحيل. فالواجب هو ذات الله تعالى وصفاته، والجائز هو جميع الممكنات والمستحيل هو الذي لا يمكن وجوده. والإرادة تعلقها تخصيص والتخصيص ترجيح أحد الممكنات من العدم إلى الوجود على ما يريد أن يبرزه. والقدرة تعلقها تأثير والتأثير هو إبراز معدوم أو إعدام موجود. فلولا سبق العلم لم يحصل تخصيص الإرادة ولولا تخصيص الإرادة لم يحصل تأثير القدرة. والسمع يتعلق بكل مسموع قديم أو حادث. والكلام يتعلق بجميع ما يتعلق به العلم. وهذه الصفات كلها قائمة بذات الله تعالى وهي منقسمة إلى ما يتعلق بغيره كشفاً كالعلم والسمع والبصر وإلى ما يتعلق بغيره من غير

كشف ولا تأثير كالكلام. وأعمقها تعلقاً العلم والكلام وأخصها السمع ومتوسطها البصر. والبقاء هو استمرار الوجود وليس هو وصفاً زائداً على مفهوم الذات.

فالأشعرية يقولون الحق سبحانه وتعالى حي بحياة، عالم بعلم، قادر بقدرة، مريد بإرادة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام.

ومذهب القدرية: أنه حي بذاته قادر بذاته مريد بذاته سميع بذاته بصير بذاته متكلم بذاته وهو خطأ.

ومذهب الطبائعية: أن النار محرقة بطبعها، والماء مرو بطبعه، والعيش مشبع بطبعه، والأفلاك والكواكب مؤثرة بطبعها وقس عليه جميع الأسباب.

ومذهب أهل الحق أن المؤثر هو قدرة الله تعالى وأن الأسباب لا أثر لها والله أعلم.

واعلم أن الصفات السبع عند الأشاعرة معان زائدة على مفهوم الذات وهي ثابتة الأعيان والأحكام. ومعنى ثبوت الأعيان أنها ليست نفس الذات ولا خارجة منها.

وقال غيرهم من المحققين: اعلم أن الأسماء والصفات نسب وإضافات ترجع إلى عين واحدة إذ لا كثرة هناك بوجود أعيان زائدة على الذات المقدسة كما زعم من لا علم له بالله تعالى من بعض النظار. فلو كانت أعيان زائدة وما هو إله إلا بها لكان معلولاً لها. فلا يخلو أن تكون هي عينه. فالشيء لا يكون معلولاً لنفسه أو لا تكون. فالإله لا يكون معلولاً لعلة ليست عينه؛ لأن ذلك يقتضي افتقاره وافتقار الإله محال. فكون الأسماء والصفات أعياناً زائدة محال.

ومن كلام أبو مدين رضي الله عنه: أسماء الله تعالى بها تعلق وتخلق وتحقق، فالتعلق الشعور بمعنى الاسم، والتخلق أن يقوم بك معنى الاسم،

والتحقق أن تفنى في معنى الاسم[١].

ومــن المعلــوم لدى المتخصصين في تراث السلف أن لهم موقفاً متميزاً في قضــية الأسماء والصفات الإلهية اعتصموا فيه بما ورد عن هذه القضية في الكــتاب والسنة نصاً لا تأويلاً، فهم يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه من جميع صــفات الكمــال التي ارتضاها لنفسه وورد بها الذكر الحكيم، أو وصفه بها نبيه ﷺ في الأحاديث الصحيحة كصفة المجيء والاستواء، والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا، وغيرها من الصفات الإلهية التي وردت بها الأخبار الصحيحة والتي ليس للعقل مدخل في إثباتها أو نفيها عن الله ما لم يكن قد ورد بها نص.

وهذا الموقف المتميز يختلف عنه تماماً موقف المتكلمين من هذه القضايا، حيث وضعت كل فرقة لنفسها معياراً عقلياً جعلته أصلاً لها ومقياساً لقبول إثبات الصفة الواردة في القرآن أو نفيها عن الله بتأويلها وصرفها عن الظاهر، أما موقف السلف فإنه قد التزم القول بإثبات ما أثبته القرآن ونفي ما نفاه القرآن بدون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه كما هو مبين في موضعه. فأخذ المتكلمون يشنعون على موقف السلف بأنهم مشبهة ومجسمة، وأحياناً حشوية لأنهم يثبتون الصفات الإلهية بدون تأويلها وبدون صرفها عن ظاهرها. وإذا أرادوا نوعاً من المجاملة لهم قالوا أهل التفويض والتسليم[٢].

ولكن أود أن أضع بين يدي القارئ الحقائق التالية:

أولاً: إن الكلام في قضية الصفات الإلهية نفياً أو إثباتاً يعتبر خوضاً في الكلام عن الذات الإلهية. ومعلوم أن مدارك العقول لأمور الغيب ـ وعلى رأسها ما يتعلق بالله ـ أمر شاق وعسير ، والاستعانة فيها بنور الشرع أمــر

---

(١) عبد الحليم محمود: أبو مدين الغوث، ص: ٩٨ .

(٢) محمد السيد الجليند: منهج السلف بين العقل والتقليد (القاهرة: مطبعة العمرانية، سنة ١٤٢٥هـ/ ١٩٩٤م) ص:٢٠ .

حتمي وضروري إذا أردنا تأسيس العقيدة على اليقين الجازم، فما لم يرد نص بأن الله استوى على عرشه أو أنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا. من أين للعقل أن يعلم ذلك نفياً أو إثباتاً، وهل معه دليل يقيني يهديه إلى القول بالإثبات أو النفي للصفة المعينة، إلا ورد الشرع فيها ؟! إن ذلك الأمر لا ينتمي إلى عالم الشهادة وبالتالي فليس له نظير يقاس عليه حتى يمكن القول بأن للعقل مدخلاً في النفي والإثبات بعيداً عن النص(١).

ثانياً: إذا كان طريق العقل إلى القول بالإثبات أو النفي مسدوداً أصلاً إذا عزل نفسه عن النص فهل من المعقول أنه يستطيع البحث في تكييف الصفة التي لم يكن لديه دليل على القول بها نفياً أو إثباتاً إلا ورد النص بها، إن العقل حين يتدخل بتأويل الصفة على كيفية معينة لتتفق مع مفاهيمه التي استقاها من عالم الشهادة يكون بذلك قد أقحم نفسه في مجال ليس مؤهلاً للخوض فيه وليس معه من أدوات البحث فيها إلا النص، وحين يقول إن كيفية الاستواء كذا أو كيفية النزول كذا يكون ذلك من باب القول على الله بغير علم ولا كتاب منير.

ثالثاً: يفرق السلف في موقفهم من قضية الصفات بين أمرين:

الأمر الأول: فيما ورد به النـــص القرآني منها يثبتونـــه لله تعالى على المعنى المراد لله من لفظه الثبوتي، فحين يقول القرآن: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾(٢). يقولون إن الله استوى على عرشه كما أخبر وليس كما يخطـــر علـــى قلب البشر، أو يقولون إن معنى لفظ استوى معلوم في لغة العرب وله معـــان كثيرة تحدث بها القرآن الكريم. ونحن نفهم معنى الاستواء الوارد في القرآن حسب وروده في الآية المعينـــة. ومطالبون بفهمه وتدبره لأن القرآن

(١) محمد السيد الجليند: منهج السلف بين العقل والتقليد، مرجع سابق، ص: ٢١ .

(٢) سورة طه ، الآية: ٥ .

أنزل لنتدبر آياته ونعمل بحكمه ونؤمن بمتشابهه، ولا نرد منه شيئاً، أما كيف استوى وأما تحديد معنى معيناً لاستوائه سبحانه، وأما كيفية الاستواء. فهذا أمر يتعلق بالذات الإلهية التي استوت على العرش، وحظ العقل من ذلك هو الجهل به. لأنه لا يعلم ذات الله إلا الله، وبالتالي لا يعلم كيف استوى الله على عرشه إلا الله[1].

الأمر الثاني: وكذلك شأنهم في بقية الصفات الإلهية، يفرقون فيها بين العلم بمعاني ألفاظ القرآن الواردة بها فيثبتونها ويعلمون معناها، أما الكلام في كيفية الصفات التي نزلت بها ألفاظ القرآن فيفوضون العلم بها إلى الله. والفرق عندهم كبير بين القول بعلم معنى الآية التي ذكرت وتفويض العلم بكيفيتها إلى الله سبحانه، وهذه التفرقة ضرورية في فهم موقف السلف في قضية الصفات. فإنهم يقولون: المعنى معلوم ولكن الكيف مجهول، لأن كيفية الصفة متفرعة عن كيفية الموصوف بها كما سبق، وهو الله سبحانه وتعالى.

ولقد جاءت نصوص السلف في هذه القضية حاسمة في التفرقة بين علم المعنى وتفويض العلم بالكيف إلى الله.

قال الإمام مالك رضي الله عنه حين سئل عن الاستواء: الاستواء معلوم والكيف مجهول[2].

وقال الترمذي في الكلام عن حديث الرؤية: المذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل: سفيان، ومالك، وابن المبارك، وابن عيينه، ووكيع وغيرهم: تروي هذه الأحاديث كما جاءت ونؤمن بها ولا يقال كيف، ولا نفسر ولا نتوهم.

وقال الإمام أحمد رضي الله عنه حين سئل: كيف ينزل ربنا... الحديث ،

---

(١) محمد السيد الجليند: منهج السلف بين العقل والتقليد، مرجع سابق، ص: ٢١ .

(٢) المرجع السابق ، ص: ٢٢ .

فقيل: اثبته كيف هو فوق حتى أثبت كيف ينزل ربنا، أو كما قال: فأنت ترى في هذه النصوص ـ وغيرها كثير ـ أنهم يفرقون بين العلم بالمعنى والتفويض في العلم بالكيفية، ومعلوم أن العلم بكيفية الصفة مؤسس على العلم بكيفية الموصوف. وهذه قضية محسومة في منهج السلف. ولذلك فإن إطلاق القول على منهجهم بأنهم أهل التفويض أو أهل التسليم ليس دقيقاً ولا معبراً عن دقائق موقفهم في قضية الصفات، ولكن المخالفين لهم أطلقوا عليهم هذه الصفات بقصد التشنيع عليهم واتهامهم بالتقصير أو القصور في إعمال العقل والقول بمقتضاه في هذه المسألة، والقول بأنهم اكتفوا بما ورد به النص بدون فهم أو تأويل، هكذا يقولون عن السلف.

وهنا يقول الدكتور محمد الجليند: وعند التأمل يجد القارئ أن موقف السلف كما هو مبين في مواضعه أكثر عقلانية وأشد احتراماً لقوانين العقل من خصومهم، والسلف على اتفاق تام فيما بينهم على أنهم يعلمون معنى الآية، وإنما الذين كفُّوا أنفسهم عنه وفوضوا العلم به إلى الله هو البحث في الكيفية، لعلمهم أن هذا مما استأثر الله بعلمه، فضلاً عن أننا لم نطالب بالعلم بالكيفية ولا البحث فيها، بل إنَّ روح الشرع على النهي والتحذير من الخوض فيها، لأنها تتعلق بالبحث في ذات الله وهو منهي عنه[1].

رابعاً: نقطة أخيرة تتعلق بهذه المسألة، وهو أن علماء الكلام قاطبة وكل من خالف السلف وحاد عن منهجهم في هذه المسألة بالذات بدعوى الأخذ بقوانين العقل، كان كل حديثهم عنها بعيداً عن حكمة العقل وإن كانوا ينتصرون له، ويعارض قوانين العقل فيها وإن كانوا يدعون الأخذ بها، ذلك إن كل الخلافات القائمة بينهم في قضية الصفات تتعلق أصلاً بالبحث في كيفية الصفة، فالنفاة يقولون إنَّ العقل يحيل أن يكون الله قد استوى على العرش

---

(١) محمد السيد الجليند: منهج السلف بين العقل والتقليد، مرجع سابق، ص: ٢٢– ٢٣ .

لأن الاستواء يقتضي الجسمية ويقتضي كذا وكذا. وكل ذلك مستحيل.. ولذلك وجب نفي الاستواء بتأويل الآية ونفيها عن ظاهرها. هكذا يقولون. فأنت ترى معي أنهم ينفون الاستواء لأنه عندهم يقتضي الجسمية ولأنهم لم يعلموا من معاني الاستواء إلا ما يليق بصفات الأجسام.. ولكنهم نسوا أن الله ليس كمثله شئ، فلا يقاس بالناس، ولا يماثل بخلقه، وكان ينبغي على المخالفين أن يعلموا أن الله تعالى لم يطلب منا أن نبحث عن كيفية استوى وإنما طلب منا أن نؤمن بأنه استوى على عرشه كما أخبر وكما وردت بها النصوص[1].

ولاشك أن أهم الموضوعات خصوبة ومنهجية في موقف السلف تلك الموضوعات الغيبية التي كانت مدخلاً ـ عند خصومهم ـ لاتهامهم برفض العقل وأحكامه، ومن أبرزها قضية الصفات الإلهية وحوارهم العقلاني الرائع مع المخالفين، وهذه النزعة التحليلية يمكن أن نتناولها من جوانب ثلاثة حسبما يرى الدكتور محمد الجليند:

المستوى الأول: وهو مناقشة المخالفين في السبب العقلاني الذي من أجله يرفضون الأخذ بالنص، فعلى سبيل المثال، أن جميع الفلاسفة وجمهور المتكلمين يرفضون الأخذ بظاهر النص في آيات الصفات بحجة أن ظواهر النصوص فيها تدعو إلى التشبيه والتمثيل، كالجسمية والحيز والتركيب والجهة... الخ، ولهذا السبب تجدهم يتأولون آيات الاستواء على معنى الاستيلاء، وآيات الرؤية والمجئ واليد على معان أخرى تؤدي إلى تعطيل الصفة على موصوفها، وهكذا كان موقف المتكلمين من آيات الصفات.

ولو سألناهم بمنطقهم العقلي هل المحظور الذي من أجله رفضتم الأخذ بظاهر النص قد سلمتهم منه في المعنى الجديد الذي تأولتم عليه الآية؟ والجواب

---

(١) محمد السيد الجليند: منهج السلف بين العقل والتقليد، مرجع سابق، ص: ٢٣ .

بالقطع لا. لم يسلم لهم ذلك، لأن ما يقال في معنى الاستواء من الأمور التي ادعوها في الآية. يقال نظيره أيضاً في معنى الاستيلاء حسب المنطق الذي تأخذون به يقتضي الجسمية أيضاً، فما قررتم منه وقعتم فيه، وعطلتم النص عن مدلوله بسبب ذلك[١].

المستوى الثاني: وهو دعوى المخالفين أن آيات الصفات تقتضي التشبيه. فـيقال لهم كيف؟ إن منهج السلف في هذه القضية يقوم على الأصل القرآني في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٢].

والمعلوم أن ذات الله تعالى ليست كذوات البشر، وبالتالي فإن صفاته تعالى ليست كصفات البشر، فكيف إذن فهمتم من صفات الاستواء واليد والقبضة أنها كاستواء البشر ويد البشر وقبضة البشر ؟

إن هذا الفهم الخاطئ للصفة يدل على أنكم شبهتم الله بخلقه أولاً في فهمكم أن الصفة تقتضي الجسمية، ولم تفرقوا بذلك بين ما لله وما للإنسان، ولجأتم ثانياً إلى التأويل فراراً من هذا التشبيه الذي وقعتم فيه. ولو فهمتم الصفة كما فهمها جيل الصحابة والتابعين على نحو ليس كمثله شئ لما وقعتم في محظور التشبيه الذي ظننتموه، والرفض لظاهر النص الذي لجأتم إليه وجمهور المسلمين على ذلك. فلم يخطر بذهن مسلم وهو يقرأ القرآن أن هذه الآية أو تلك الصفة تشبه ما في المخلوقين منها، لأن كل صفة يتحدد معناها بحسب المضاف إليها، فإذا قيل: علم محمد وسمع محمد، فإن الذهن ينصرف إلى ما يفهمه العقل من معاني تلك الصفة المضافة إلى محمد، وما يناسبه منها من أدوات يسمع بها ويبصر ومن علم يكتسبه بأدواته.. الخ.

أما إذا قيل: علم الله وسمع الله وبصر الله؛ فلم يخطر على الذهن أبداً أن

---

(١) محمد السيد الجليند: منهج السلف بين العقل والتقليد، مرجع سابق، ص: ٦٧ .

(٢) سورة الشورى ، الآية: ١١ .

هذه الصفات المضافة إلى الله تشبه صفات المخلوقين، ولم يقل بذلك إلا أصحاب النظر المنحرف عن منطق الفطرة السليمة[١].

المستوى الثالث: وهو تحويل المصطلحات التي تأولوا من أجلها آيات الصفات وغيرها. لبيان الفرق بين المعنى الاصطلاحي للغات، والمعنى العام لها، وبيان أن المعنى الاصطلاحي لا يجوز أبداً أن يتحكم في المعنى اللغوي العام للكلمة، بل يظل اللفظ يحمل معناه الذي يحدده السياق العام للكلام، هذا في اللغة الواحدة.

أما إذا كانت الكلمة منقولة من لغة إلى لغة أخرى فمن العبث التحكم بدعوى أن معنى الكلمة في اللغة المنقول منها هو نفس معناها في اللغة المنقولة إليها، خاصة إذا كانت الكلمة موجودة في اللغتين معاً بمعنيين مختلفين تماماً، فكيف يتحكم أهل لغة بمعناها على أهل اللغة الأخرى ؟

وهذه من أخطر مواضع الخلاف بين المنهج السلفي والمخالفين له، فإنهم كثيراً ما كانوا يستعملون الألفاظ بالمعنى الاصطلاحي الخاص، أو ألفاظ معربة عن لغة اليونان ويريدون أن يتأولوا عليها آيات القرآن، ويحملون معاني آيات القرآن على معاني الألفاظ اليونانية، وهذه المعاني الجديدة ليس لها أصل في لغة العرب حسبما يرى الدكتور الجليند

ويوضح الدكتور محمد الجليند ذلك قائلاً: وسوف أضع أمام القارئ نموذجاً لهذه الألفاظ ليعرف إلى أي مدى كان أهل الاصطلاح يريدون تفسير الكلمة بمعناها العام بذلك المعنى الاصطلاحي أو المنقول من لغة أخرى. فمثلاً معنى لفظ: الأحد _ الجوهر ـ الحيز ـ الجهة ـ التركيب ـ الحدوث ـ القدم. فكل هذه الألفاظ لها معنى لغوي عام في لغة العرب، وليس لها معنى اصطلاحي خاص عند المتكلمين والفلاسفة ومعظم هذه المعاني الاصطلاحية

---

(١) محمد السيد الجليند: منهج السلف بين العقل والتقليد، ص: ٦٨ .

منقولة من اللغة اليونانية، وهذا في حد ذاته لا ضير منه ولا ضرر فيه، لأن هذا هو شأن لغات العالم تأخذ من غيرها وتعطي، ولكن كل الضرر أن يدعي البعض أن المعنى الاصطلاحي أو اليوناني لهذه الكلمات هو نفس المعنى القرآني لها. وهنا تكمن المشكلة. فكيف يقال أن معنى الجوهر والعرض أو معنى لفظ الواحد في لغة اليونان هو نفس معناها في لغة القرآن(١).

وإليك بعض ما سجله ابن قيم الجوزية يصف حال أحد السابقين إلى الله سبحانه وتعالى: فإذا وضع أحدهم جنبه على مضجعه صعدت أنفاسه إلى إلهه ومولاه، واجتمع همه عليه، متذكراً صفاته العيا، وأسمائه الحسنى، مشاهداً له في أسمائه وصفاته، قد تجلت على قلبه أنوارها فانصبغ قلبه بمعرفته ومحبته، فبات جسمه في فراشه يتجافى عن مضجعه، وقلبه قد آوى إلى مولاه وحبيبه فآواه إليه، وأسجده بين يديه خاضعاً، خاشعاً، ذليلاً، منكسراً من كل جهة من جهاته، فيا لها من سجدة! ما أشرفها من سجدة، لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء.

وقيل لبعض العارفين: أيسجد القلب بين يدي ربه؟ قال: إي والله، بسجدة لا يرفع رأسه منها إلا يوم القيامة. فشتان بن قلب يبيت عند ربه قد قطع في سفره إليه بيداء الأكوان، وخرق حجب الطبيعة، ولم يقف عند رسم، ولا سكن إلى علم، حتى دخل على ربه في داره(٢)، فشاهد عز سلطانه، وعظمة جلاله، وعلو شأنه، وبهاء كماله، وهو مستو على عرشه، يدبر أمر عباده،

---

(١) محمد السيد الجليند: منهج السلف بين العقل والتقليد، ص: ٦٨- ٦٩.

(٢) ثبت لفظ: «في داره» في حديث الشفاعة من رواية أنس رضي الله عنه: «فأستأذن على ربي في داره» رواه البخاري. وداره عز وجل — هي الجنة. قال الإمام الخطابي تعليقاً على حديث أنس رضي الله عنه: هذا يوهم المكان، والله منزه عن ذلك، وإنما معناه في داره الذي أتخذها لأوليائه وهي الجنة، وهي دار السلام، وأضيفت إليه إضافة تشريف مثل بيت الله، وحرم الله. وليس معنى في داره الحلول في شئ من مخلوقاته.

وتصعد إليه شئون عباده، وتعرض عليه حوائجهم، وأعمالهم، فيأمر فيها بما يشاء، فينزل الأمر من عنده نافذاً كما يشاهد[1] الملك الحق قيوماً بنفسه، مقيماً لكل من سواه، غنياً عن كل من سواه، وكل من سواه فقير إليه.

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾[2].

يغفر ذنباً ويفرج كرباً، ويفك عانياً[3]، وينصر ضعيفاً، ويجبر كسيراً، ويغني فقيراً، ويميت ويحيي، ويسعد ويشقي، ويضل ويهدي، وينعم على قوم، ويسلب نعمته عن آخرين، ويعز أقواماً ويذل آخرين، ويرفع أقواماً ويضع آخرين، ويشهده كما أخبر عنه أعلم الخلق به، وأصدقهم في خبره ﷺ حيث يقول في الحديث الصحيح: «يمين الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق، فإنه لم يغض ما في يمينه، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع»[4].

فيشاهده كذلك يقسم الأرزاق، ويجزل العطايا، ويمن بفضله على من يشاء من عباده، عدلاً منه، وحكمة، لا إله إلا هو العزيز الحكيم، فيشهده وحده القيوم بأمر السموات والأرض ومن فيهن، ليس له بواب فيستأذن، ولا حاجب فيدخل عليه، ولا وزير فيؤتي، ولا ظهير فيستعان به، ولا وليّ من دونه فيشفع به إليه، ولا نائب عنه فيرفع حوائج عباده، ولا معين له فيعاونه على قضائها، أحاط سبحانه بها علماً، ووسعها قدرة ورحمة، فلا تزيده كثرة الحاجات إلا جوداً، وكرماً، ولا يشغله منها شأن عن شأن، ولا تغلطه كثرة المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، لو اجتمع أول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم، وقاموا في صعيد واحد، ثم سألوه؛ فأعطى كلاً منهم مسألته ما نقص

---

(١) لا يعني رحمة الله إثبات الرؤية لله في الدنيا وإنما بقصد العلم ومشاهدة آثار الملك.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٢٩.

(٣) العاني: الأسير.

(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ذلك مما عنده ذرة واحدة إلا كما ينقص المخيط البحر إذا غمس فيه، ولو أن أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئاً، ذلك بأنه الغني، الجواد، الماجد، فعطاؤه من كلام، وعذابه من كلام.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

ويشهده كما أخبر عنه الصادق المصدوق ﷺ حيث يقول: "إن الله لا ينام، ولا ينبغي أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه"[2].

ومن الإيمان بالله الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلا الواردة في كتابه العزيز، والثابتة عن رسوله الأمين من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل يجب أن تمر كما جاءت بلا كيف مع الإيمان بما دلت عليه من المعاني العظيمة التي هي أوصاف لله عز وجلّ يجب وصفه بها على الوجه اللائق به من غير أن يشابه خلقه في شئ من صفاته.

كما قال تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[3].

وقال عز وجل: ﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[4].

وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم بإحسان. وهي التي نقلها الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله في كتابه "المقالات عن أصحاب الحديث وأهل السنة". ونقلها غيره من أهل العلم والإيمان.

---

(١) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٢) رواه مسلم وابن ماجه وأحمد من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٤) سورة النحل، الآية: ٧٤.

قال الأوزعي رحمه الله: سئل الزهري ومكحول عن آيات الصفات فقالا: أمروها كما جاءت.

وقال الوليد بن مسلم رحمه الله: سئل مالك، والأوزعي، والليث بن سعد، وسفيان الثوري رحمهم الله عن الأخبار الواردة في الصفات، فقاوا جميعاً: أمروها كما جاءت بلا كيف.

وقال الأوزعي رحمه الله: كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله سبحانه على عرشه ونؤمن بما ورد في السنة من الصفات. ولما سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ مالك رحمه الله عن الاستواء قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق.

ولما سئل الإمام مالك رحمه الله عن ذلك قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، ثم قال للسائل: ما أراك إلا رجل سوء! وأمر به فأخرج.

وروي هذا المعنى عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها.

وقال الإمام أبو عبد الرحمن عند الله بن المبارك رحمة الله عليه: نعرف ربنا سبحانه بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه[1].

ولقد كان جواب شيخ الإسلام ابن تيمية لأهل حماة، جواب عظيم كثير الفائدة قد أوضح فيه رحمه الله عقيدة أهل السنة ونقل فيه الكثير من كلامهم والأدلة الشرعية والعقلية على صحة ما قاله أهل السنة، وبطلان ما قاله خصومهم. وكذلك رسالته الموسومة بالتدمرية قد بسط فيها المقام وبين فيها عقيدة أهل السنة بأدلتها النقلية والعقلية والرد على المخالفين بما يظهر الحق ويدمغ الباطل لكل من نظر في ذلك من أهل العلم بقصد صالح ورغبة في

(١) من أراد الوقوف على كثير من ذلك فليراجع ما كتبه علماء السنة في هذا الباب.

معرفة الحق، وكل من خالف أهل السنة فيما اعتقدوا في باب الأسماء والصفات إنه يقع ولابد في مخالفة الأدلة النقلية والعقلية مع التناقض الواضح في كل ما يثبته وينفيه.

أما أهل السنة والجماعة فأثبتوا لله سبحانه وتعالى ما أثبته لنفسه في كتابه الكريم أو أثبته له رسوله محمد ﷺ في سنته الصحيحة إثباتاً بلا تمثيل ونزّهوه سبحانه عن مشابهة خلقه تنزيهاً بريئاً من التعطيل ففازوا بالسلامة من التناقض وعملوا بالأدلة كلها، وهذه سنة الله سبحانه وتعالى فيمن تمسك بالحق الذي بعث به رسله وبذل وسعه في ذلك وأخلص لله في طلبه أن يوفقه للحق ويظهر حجته كما قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[2].

لذلك كان من الواجب في هذا المقام أن نسلك مسلك السلف الصالح والتابعين من بعدهم عند الحديث عن أسماء الله وصفاته. وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله فإن الله لا يشبهه شئ من خلقه وليس كمثله شئ وهو السميع البصير. بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال: من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه. فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى.

ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصف بـه

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.

رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفؤ له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه. ثم رسله صادقون مصدقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون[1].

ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ سُبۡحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ * وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴾[2].

فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل وسلام على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاءت به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة .الإخلاص. التي تعد ثلث القرآن حيث يقول:﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ * وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[3].

وما وصف به نفسه في أعظم آية من كتاب الله حيث يقول:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوۡمٌۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٍ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا

(١) ابن تيمية: العقيدة الواسطية، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل، ج١، ص: ٣٨٧ .

(٢) سورة الصافات ، الآيات: ١٨٠، ١٨١، ١٨٢ .

(٣) سورة الإخلاص ، الآيات: ١، ٢، ٣، ٤ .

يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[1].

فلهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

وقوله تعالى: ﴿ تَبَـٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَـٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَـٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدًا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۞ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدًا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىۡءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرًا ﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَـٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍۚ ﴾[7].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[8].

وهذا الباب في كتاب الله تعالى كثير من تدبر القرآن طالب الهدى منه تبين له طريق الحق ثم سنة رسول الله ﷺ تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه. وما وصف الرسول ﷺ به ربه من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك. مثل قوله ﷺ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلـــة حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني

---

(1) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(2) سورة الرحمن، الآية: ٧٨.
(3) سورة مريم، الآية: ٦.
(4) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.
(5) سورة الإسراء، الآية: ١١١.
(6) سورة الفرقان، الآيتان: ١، ٢.
(7) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.
(8) سورة طه، الآية: ٥.

فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له.[1].

وقوله ﷺ: .لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته.[2].

وقوله ﷺ: .يضحك الله إلى رجلين أحدهما يقتل الآخر كلاهما يدخل الجنـــة.[3].

وقوله ﷺ: .عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره ينظر إليكم أزلين قنطين يظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب.[4].

وقوله ﷺ: .لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه. وفي رواية عليها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط.[5].

وقوله ﷺ في رقية المريض: .ربنا الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين انزل رحمـــة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع.[6].

وقوله ﷺ للجارية أين الله؟ قالت: .في السماء. قال: من أنا. قالت: أنت رسول الله. قال: اعتقها فإنها مؤمنة.[7].

وقوله ﷺ: .أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت.[8].

وقوله ﷺ: .إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه فلا يبصق قبل وجهه ولا عن يمينه ولكن عن يساره أو تحت قدمه.[9].

وقوله ﷺ: .اللهم رب السموات السبع ورب العـــرش العظيم ربنا ورب

---

(١) هذا الحديث متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) حديث حسن.

(٥) متفق عليه.

(٦) رواه أبو داود.

(٧) رواه مسلم.

(٨) حديث حسن.

(٩) متفق عليه.

كل شئ فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عني الدين وأغنني من الفقر .[١].

وقوله ﷺ لما رفع أصحابه أصواتهم بالذكر أيها الناس أربعوا على أنفسكم فأنتم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته[٢].

وقوله ﷺ إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة بعد غروبها فافعلوا[٣].

إلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله ﷺ عن ربه بما يخبر به.

ومـن الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله ﷺ وأجمـع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه علىّ علـى خلقه وهو معهم سبحانه أينما كانوا يعلم ما هم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٤].

وليس معنى قوله وهو معكم أينما كنتم أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته هو موضوع في السماء

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) سورة الحديد، الآية: ٤.

وهو مع المسافر أينما كان وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع إليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبية. وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يصان عن الظنون الكاذبة ودخل في ذلك الإيمان بأنه قريب من خلقه. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(١).

وقال النبي ﷺ إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته.

وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته فإنه سبحانه ليس كمثله شئ في جميع نعوته وهو عليّ في دنوه قريب في علوه.

ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه ووصف به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. ومقصوده أن هذا ينفي التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره إما وجوباً وإما جوازاً.

وهنا ينبغي أن نوضح أم معنى لفظ التأويل في كتاب الله غير لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين من أهل الأصول والفقه وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف(٢).

ويقول ابن تيمية ذكرت في النفي التمثيل ولم أذكر التشبيه لأن التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(٣).

ولقد اتفق السلف على أن الكيف غير معلوم لنا. وهو أيضاً منفي بالنص فإن تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته غير المعلومة. وهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله.

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ١٨٦ .

(٢) ابن تيمية: المناظرة في العقيدة الواسطية، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل، ج١، ص: ٤٠٧ .

(٣) سورة الشورى ، الآية: ١١ .

وكذلك التمثيل منفي بالنص والإجماع القديم مع دلالة العقل على نفيه ونفي الكيف إذ كنه الباري غير معلوم للبشر.

فمذهب السلف هو إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها إذ الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات يحتذي حذوه ويتبع فيه مثاله فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف[1].

---

(١) ابن تيمية: المناظرة في العقيدة الواسطية، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل، ج١، ص: ٤٠٨.

أهمية الإيمان بالأسماء والصفات

إن معرفة الله سبحانه وتعالى هو أصل الدين وركن التوحيد وأول الواجبات.

قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما أرسله إلى أهل اليمن: «فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله فإن عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات»[1].

وآيات الصفات لها فضل خاص كما في صحيح مسلم أن أعظم آية في كتاب الله آية الكرسي وكلها أسماء وصفات، وأحب الآيات والسور المتضمنة لها سبب لدخول الجنة كما في صحيح البخاري في الصحابي الذي كان في سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[2].

ولما ذكر وسئل عنه قال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها.

قال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه».

ولقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بدعائه بأسمائه وصفاته.

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[3].

والفرق بين المسلمين وبين اليهود هو في الأسماء والصفات إذ نسبوا إليه الفقر والتعب وغل اليد والعجز ـ نعوذ بالله من ذلك.

والفرق بين المسلمين وبين النصارى هو في الأسماء والصفات إذ نسبوا

---

(١) هذا الحديث رواه البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه.

(٢) سورة الإخلاص، الآية: ١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

إليه الصاحبة والولد والموت والبكاء وسائر صفات المخلوقين وذلك حين قالوا: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[1].

وظن الجاهلين في صفات الله مهلك والعياذ بالله، فقد قال الله فيمن شك في صفة السمع والعلم لله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2].

ومعرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته ومحبته ودعاؤه بها والتعبد له بمقتضاها هي جنة الدنيا التي من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

ولقد أجمع المسلمون على فضل هذا العلم وشرفه، فمن قلل من شأنه أو قال عنه أنه "ترف عقلي" أو "انشغال بما غيره أولى منه" فهو ضال مبتدع[3].

إن الإيمان بأسماء الله وصفاته أحد أركان الإيمان بالله تعالى، وهي الإيمان بوجود الله تعالى، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته.

ومنزلة العلم بأسماء الله وصفاته من الدين، وتوحيد الله به أحد أقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٢) سورة فصلت، الآيتان: ٢٢- ٢٣.

(٣) ياسر برهامي: منة الرحمن (الإسكندرية: دار الإيمان، سنة ١٩٩٧م) ص: ٩- ١٠.

التعبد بالأسماء والصفات
حقيقة التوحيد

إن التعبد بالأسماء والصفات يجعل القلب ممتلئاً بأجلِّ المعارف باستحضار معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى، ويتأثر القلب بآثارها ومقتضياتها ويدعـو الله بها، فمثلاً أسماء «العظيم» و «الكبير» و «المتعـال» و «المجيد» و «الجليل» تملأ القلب تعظيماً لله وإجلالاً له.

وأسماء «البر» و «الكريم» و «الجواد» و «المنان» و «الرحيم» و «الجميل» و «الودود» تملأ القلب حباً له وشوقاً إليه وحمداً له وشكراً.

وأسماء «العزيز» و «شديد العقاب» و «الجبار» و «القدير» تملأ القلب خضوعاً وانكساراً وذلاً وخوفاً ورهبة منه سبحانه وتعالى.

وأسمـاء «العليـم» و «الخبـير» و «السميـع» و «البصير» و «الشهيـد» و «الرقيب» و «الحسيب» تملأ القلب مراقبة لله في الحركات والسكنات وتؤدي بالعبد إلى أن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه.

وأسماء «الغني» و «الغفور» و «التواب» و «المجيب» و «اللطيف» تملأ القلب افتقاراً إلى فضله ورجاء رحمته ورغبة في منته[١].

ومنزلة العلم بأسماء الله وصفاته في الدين عالية، وأهميته عظيمة، ولا يمكن لأحد أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء الله تعالى وصفاته ليعبده على بصيرة[٢].

---

(١) ياسر برهامي: منةُ الرحمن في نصيحة الإخوان (الإسكندرية: دار الإيمان، ١٩٩٧م) ص: ١٤- ١٥.

(٢) محمد بن صالـح العثيمين: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تحقيـق هاني الحاج (القاهرة: مكتبة العلم، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ص: ١٠ .

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[1].

وهذا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة.

فدعاء المسألة: أن تقدم بين يدي مطلوبك من أسماء الله تعالى ما يكون مناسباً مثل أن تقول: . يا غفور اغفر لي، ويا رحيم ارحمني، ويا حفيظ احفظني. ونحو ذلك.

ودعاء العبادة: أن تتعبد لله سبحانه وتعالى بمقتضى هذه الأسماء، فتقوم بالتوبة إليه لأنه التواب، وتذكره بلسانك لأنه السميع، وتتعبد له بجوارحك لأنه البصير، وتخشاه لأنه اللطيف الخبير[2].

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) محمد صالح العثيمين: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ص: ١١.

اعتقاد السلف
في الأسمـاء والصفـات

إن السلف الصالح رضوان الله عليهم أقروا ما ورد على ما ورد، وآمنوا إيماناً صادقاً بكل ما وصف الله به نفسه، وبما وصف به رسول الله ﷺ، من غير تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل. لا يختلف الصحابة ولا الذين يلونهم في هذا الاعتقاد أبداً، وإجماعهم حجة على من بعدهم، فيجب الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ .

فليس هناك فرق بين بعض الصفات وبعضها، وليست صفات الله مقتصرة على سبع كما يعتقد الأشاعرة أو غيرها بل كل ما ورد في الكتاب والسنة فيجب الإيمان به، كالحياة والسمع والبصر والقدرة والإرادة والعلم والكلام والرحمة والمحبة والرضا على المؤمنين والسخط على الكافرين والفرح بتوبة العبد حين يتوب إليه والضحك لرجلين يقتل أحدهما الآخر فيدخلان الجنة، واليدين والقدم، كل ذلك على ما يليق بعظمة الله وجلاله.

والسنة أصل في ذلك، فالحديث الصحيح حجة بنفسه في العقائد، ومنها إثبات صفات الله تعالى، ويدخل في التحريف: التأويل المذموم، الذي ابتدعه بعض الخلف لشبهات عقلية فاسدة كمن يؤول الاستواء بالاستيلاء، ومن يؤول اليدين بالقدرة، والحب والرضا والغضب بالإرادة، مع نفي هذه الصفات واعتقاد أن ظاهرها لا يليق بالله.

وقد أجمع السلف على الكف عن هذا التأويل، ولم يفسروا آيات القرآن ولا أحاديث الرسول ﷺ بهذه التأويلات البعيدة بل قالوا: «أمروها كما جاءت». أي دالـــة على معانيها اللائقة بجلال الله، والإقرار بجهل الكيف، وعدم قدرة

المخلوقين على الإحاطة به والحذر كل الحذر من التشبيه.

قال تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ * وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾(٢).

وكما قالت أم سلمة والإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

ولذا فقد اتفق السلف على ذم الفلسفة وعلم الكلام، وأنه ليس مصدراً لمعرفة العقيدة. ولذا كانت بدعة الجهمية بنفي الأسماء والصفات وتعطيلها وبدعة المعتزلة في نفي الصفات من شر البدع(٣).

ومعلوم أن مذهب السلف هو أن وجوده تعالى أمر فطري معلوم بالضرورة، والأدلة عليه في الكون والنفس والآثار والآفاق والوحي أجل من الحصر، ففي كل شئ له آية وعليه دليل(٤).

والميزان الحقيقي لوزن الأمور الشرعية والعقدية هو الكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾(٥).

وقوله ﷺ: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وسنتي".

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فمن المحال في العقل والدين أن يَكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمر الناس أن يردوا ما

---

(١) سورة الإخلاص، الآيات: ١- ٤.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) ياسر برهامي: منّة الرحمن (الإسكندرية: مكتبة الإيمان، سنة ١٩٩٧م) ص: ١٢- ١٣.

(٤) سفر الخوالي: منهج الأشاعرة في العقيدة (القاهرة: دار العلم، بدون تاريخ) ص: ١٧.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥٩.

تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه أكمل له ولأمته دينهم، وأتم عليهم نعمته، محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله، والعلم ملتبساً مشتبهاً، ولم يميز بين ما يحب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا، وما يجوز عليه وما يمتنع.

فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهدية، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصّلته النفوس وأدركته العقول، فكيف ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين، لم يحكموا هذا الباب اعتقاداً وقولاً ؟

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتلقون من النبي ﷺ نصوص الكتاب والسنة في باب الأسماء والصفات، وفي غير ذلك من المسائل العقدية، فيؤمنون بها على ما فهموه منها بمقتضى لغتهم التي نزل بها القرآن الكريم، وعلى وفق المنهج الذي رسمه الله عز وجل، لذلك كانت نصوص الأسماء والصفات من الوضوح والبيان بحيث اتفقوا على فهم المراد منها، ولم يحصل بينهم اختلاف فيها، والدليل على ذلك أنهم نقلوا إلينا آيات وأحاديث الأسماء والصفات نقل مصدق لها، مؤمن بها، غير مرتاب فيها ولا شاك في صدق قائلها، ولم يؤولوها، ولم يشبهوا صفات الله تعالى بصفات المخلوقين، إذ لو فعلوا شيئاً من ذلك لنقل إلينا عنهم كما نقل إلينا اختلافهم في بعض مسائل الفروع(١).

ولعل من المناسب والمفيد هنا أن نخلص كلاماً جيداً لتقي الدين المقريزي رحمه الله صوّر فيه الحالة العقدية والفكرية ووصف التطورات التي مر بها لعدة قرون، حيث قال: لما بعث الله محمداً ﷺ إلى الناس، وصف

---

(١) الطيب بن عمر بن الحسين الجكني: العقيدة السلفية والرد على المنحرفين عنها (بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ص: ١٦ .

لهم ربهم بما وصف به نفسه، فلم يسأله أحد من العرب بأسرهم، قرويهم وبدويهم عن معنى شئ من ذلك، كما كانوا يسألونه عن أمر الصلاة، وشرائع الإسلام، إذ لو سأله أحد منهم عن شئ من الصفات لنقل، كما نقلت أحاديث الأحكام وغيرها.

ومن أمعن النظر في دواوين الحديث والآثار عن السلف، علم أنه لم يرد قط لا من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة على اختلاف طبقاتهم، وكثرة عددهم، أنه سأل النبي ﷺ عن معنى شئ مما وصف الرب سبحانه وتعالى به نفسه في القرآن، وعلى لسان نبيه ﷺ، بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا سكوت فاهم مقتنع، ولم يفرقوا بين صفة وأخرى، ولم يتعرض أحد منهم إلى تأويل شئ منها، بل أجروا الصفات كما وردت بأجمعهم، ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به سوى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

ونتساءل: ما مفهوم السلف ؟

اتفق علماء اللغة على أن السلف يطلق على الماضي المتقدم. قال الجوهري: سلف يسلف سلفاً. أي: مضى، والقوم السلاف المتقدمون، والجمع: أسلاف، وسلاف. والسلفية نسبة إلى السلف.

وجاء في القرآن الكريم قول الله عز وجل: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾[1].

أما عن مفهوم السلف والسلفية في الاصطلاح تتنازعه الفرق الإسلامية حيث تحاول كل فرقة أن تنتسب إلى السلف، أو تتسمى بأهل السنة، ولكن مفهوم السلف ينصرف إلى أهل القرون الثلاثة الأولى التي وصفها النبي ﷺ بأنها خير القرون دون من وصف بالبدعة كالشيعة، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، وحين دار النزاع في أصول الدين

(١) سورة الزخرف، الآية: ٥٦.

بين الفرق الإسلامية، وحاول الجميع الانتساب للسلف، أصبح مدلول السلفية اصطلاحاً خاصاً يطلق على من تمسك بالكتاب والسنة، واقتدى بالسلف الصالح في فهم الإسلام وتطبيقه.

وقد اختلف في تحديد مدلول كلمة السلف، فيرى البعض أن السلف: كل من يقلد مذهبه في الدين ويتبع أثره.

وذهب البعض إلى تحديد السلف زمنياً: بأنهم عاشوا في الفترة ما بين القرن الأول من الهجرة النبوية إلى القرن الخامس، والخلف ما كان بعد ذلك.

ويقول ابن حزم: وهذان القولان بعد البحث والتنقيب لم أقف لهما على دليل يعتضدان به، مع أنه يترتب عليهما أن يكون أئمة الشيعة والخوارج والجهمية والمرجئة والمعتزلة، وغيرهم من الطوائف المبتدعة داخلين في مفهوم السلف، وهذا باطل لأن هذه الطوائف خرجت عن مذهب السلف.

ويحدد القاضي عياض في ترتيب المدارك السلف بالصحابة والتابعين.

وذهب آخرون إلى أن السلف هم الصحابة والتابعون وتابعوهم.

وهذا القول هو الراجح، للحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه وفيه أن رسول الله ﷺ سئل: أي الناس أخير؟ قال: قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم(١).

وأما من قال: إن السلف هم الصحابة، والتابعون، فالظاهر أن ذلك داخل في الحديث.

وليس مجرد هذا التحديد الزمني كافياً في الانتساب الصحيح للسلف، بل لابد أن يضاف إلى ذلك موافقة الكتاب والسنة في العقيدة والشريعة والسلوك، فمن خالف رأيه ما جاء في القرآن الكريم وما ثبت في السنة النبوية المطهرة فليس بسلفي وإن عاش في القرن الأول للهجرة، ذلك أننا نجد بعض من عاشوا

---

(١) هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه.

في زمن الصحابة رضي الله عنهم وهم ضلال مضلون بعيدون كل البعد عن عقيدة السلف ومنهجهم، أمثال عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أنت الإله حقاً وزعم أن علياً لم يمت، ولم يقتل، وأن فيه الجزء الإلهي، ولا يجوز أن يستولي عليه، وأنه هو الذي يأتي في السحاب، والرعد صوته، والبرق سوطه، وابتسامته، وأنه سينزل إلى الأرض فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً.

ونافع بن الأزرق الذي تبرأ من عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وكفر مخالفيه من المسلمين، واستحل دماءهم، وأنكر رجم الزاني المحصن.

لذلك ينبغي أن نثبت في كل ما لدينا من أخبار وآراء نقلت إلينا على أنها تمثل مذهب السلف حتى نعرضها على الكتاب والسنة، وما ثبت عن السلف الصالح رضي الله عنهم، فمن كان على هذا المنهج فهو سلفي، ومن خالفه فهو غير سلفي، وإن عاش في عصور متأخرة، ومن خالفه فهو غير سلفي وإن عاش في زمن الصحابة رضي الله عنهم.

وينبغي أن نوضح في هذا المقام أن السلف الصالح أقروا ما ورد على ما ورد، وأثبتوا لله سبحانه وتعالى ما أثبته لنفسه، وما أثبته له نبيه ﷺ من غير تصرف فيه بكناية أو مجاز، وقالوا: لسنا أغير على الله من رسوله ﷺ، لكنهم نزهوا مولاهم عن مشابهة المخلوقات ـ سبحان الله! وأين التراب من رب الأرباب ـ ثم فوضوا إليه سبحانه تعيين ما أراده هو أو نبيه من الصفات المتشابهات. فأثبتوا الصفات وفوضوا الكيفيات ولم يشغلوا أنفسهم بطلب ذلك، لأن العقل عاجز عن إدراكها ومعرفتها.

وهـذا المنهج الذي اتبعه السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ فيه تمجيد للعقل

حيث استعملوه في نطاق قدرته، ومجال دائرته[1].

وأما مخالفوهم ـ الخلف ـ فقد غلوا في تمجيد العقل، وظنوا أنه قادر على تفسير جميع الأشياء ومعرفتها، فوضعوه في غير محله، واستخدموه في غير ما خلق له، وأرادوا التنزيه بزعمهم فحملوا صفاته على غير حقيقتها، وذلك لأنهم قاسوا الخالق على المخلوق، فوقعوا فيما أرادوا أن يفروا منه، حتى منهم من غلا ورمي الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بالتشبيه.

قال ثمامة بن الأشرس من رؤساء الجهمية: ثلاثة من الأنبياء مشبهة، موسى حيث قال إن هي إلا فتنتك، وعيسى حيث قال تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك، ومحمد ﷺ حيث قال ينزل ربنا.

ومن غلطهم أيضاً أنهم قالوا: مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أعلم وأحكم.

قال الإمام السفاريني: إنه من المحال أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقول بعض من لا تحقيق لديه ـ ممن لا يقدر قدر السلف، ولا عرف الله تعالى، ولا رسوله ﷺ، ولا المؤمنين به حق المعرفة المأمور بها ـ من أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

وهؤلاء إنما أوتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك بمنزلة الأميين، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات، وغرائب اللغات، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهور، وقد كذبوا وأفكوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين باطلين: الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم والجهل والضلال بتصويب طريقة غيرهم.

ومن ذلك يتبين لك أيها القارئ المتفطن أن مذهب السلف هو الأعلم والأسلم والأحكم، وأن مسلك الخلف من زخرف الأقاويل وتحسين الأباطيل، فإن الصحابة رضوان الله عليهم قد شاهدوا الرسول ﷺ والتنزيل، وهم أدرى بما نزل من الأمين جبريل عليه السلام، ومع ذلك لم يكونوا يخوضون في حقيقة الذات.

ولكن إذا أردنا أن نميز بين السلفيين والفرق الأخرى المنتسبة للإسلام، بصفة دقيقة، فلابد من ضوابط موضوعية تكون مقياساً للانتساب الصحيح للسلف خاصة، وأن مفهوم السلف تثار حوله نزاعات حيث تحاول كل فرقة أن تنتسب إلى السلف، أو تتسمى باسم أهل السنة، أو تدعى أنها لا تخالف منهج السلف وعقيدتهم على الأقل.

ولا شك أن تتبع المنهج العقدي عند شيوخ المدرسة السلفية سوف يجد ضوابط موضوعية تجمع بين فكر السلفيين في القديم والحديث، فهم في العقائد يتمسكون بفهم الصحابة رضي الله عنهم – المنقول بواسطة المحدثين، هذا الفهم الذي وصفه المقريزي بقوله:

.ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنه سأل رسول الله ﷺ عن شئ مما وصف الله به نفسه الكريمة، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ بل كلهم فهموا ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات ولا فرّق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل، وإنما أثبتوا لله تعالى صفات أزلية من العلم، والقدرة، والحياة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، والوجه، واليد، ونحو ذلك، مع نفى مما تلته للمخلوقين..

(١) محمد بن صالح العثيمين: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تحقيق هاني الحاج (القاهرة: مكتبة العلم، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ص: ٥.

فأثبتوا – رضي الله عنهم – بلا تشبيه، ونزهوا من غير تعطيل، ولم يتعرض أحد منهم إلى تأويل شئ من ذلك، ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت[١].

إن أبرز سمات السلفيين التي تميزهم عن الفرق الإسلامية الأخرى في القديم والحديث هي: . تقديم النقل على العقل، ورفض التأويل الكلامي، والاستدلال بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والوقوف عند النص.[٢].

هذه هي قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي، وهي تعتبر عنواناً مؤشراً على اتباع مذهب السلف، والاقتداء بهم في فهم الإسلام، لذلك: فإن مدلول السلفية: أصبح مع التطور التاريخي لظهور الفرق الإسلامية منحصراً في المدرسة السلفية التي حافظت على العقيدة والمنهج الإسلامي طبقاً لفهم الأوائل الذين تلقوه جيلاً بعد جيل، وأبرز سماتهم التمسك بمنهج النقل.

هذا ويمكن أن نستخلص مما تقدم أن السلف هم: . أهل القرون الثلاثة التي وصفها النبي ﷺ بأنها خير القرون، دون المبتدعين، ثم أصبح مدلول السلفية اصطلاحاً يطلق على من تمسك بمذهب السلف، وترك مذاهب المبتدعين، ولذا فإن مذهب السلف غير منحصر في مرحلة زمنية معينة، ولكنه ممتد إلى العصر الحاضر..

---

(١) الطيب بن عمر بن الحسين الجكني: العقيدة السلفية والرد على المنحرفين عنها، ص: ٣٤ .

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

خاتمة

ونتائج عامة

خاتمة ونتائج عامة

والآن وبعد أن فرغنا من دراسة لموضوع:

" اللــــه في العقيــدة الإسلاميــة ".

يجب علينا أن نلم في هذه الخاتمة بأهم النتائج:

أولاً: الله سبحانه وتعالى واحد أحد منفرد في ملكه لا شريك له.

فالله سبحانه وتعالى في ذاته واحد لا شريك له، فرد لا مثيل له، صمد لا ضد له، متوحد لا ند له، وأنه قديم لا أول له، أزلي لا بداية له، مستمر في الوجود لا آخر له، أبدي لا نهاية له، قيوم لا انقطاع له، دائم لا انعدام له، لا يزل ولا يــزال موصوفاً بنعــوت الجلال، ولا يقضى عليه بالانقضــاء والانفصال، بتصرم الآماد وانقراض الآجال، بل هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شئ عليم.

والله سبحانه وتعالى إله واحد لا شريك له لا يقع في ملكه إلا ما أراد ولا يغلبه غالب ولا يضل ولا ينسى، ليس بغافل فنذكره ولا ببعيد فنناديه ولا بجاهل فنعلمه تعالى عن المساعد والمشير، كل فعله حسن وقوله حق، بين لخلقه ما يحتاجون إليه وهدى المؤمنين لنوره بمشيئته ودحض حجة الكافرين بإقامة حجته لا يحتج عليه بقضاء وقدر بل له الحجة البالغة، لا يدركه عقل ولا يحيط به نقل، لا يدرك بالأبصار ولا يحل في مكان فأهل السموات في ذلك كأهل الأرضين، وعد المؤمنين برؤيته في جنته ووعدهم بأنه وليهم وناصرهم يخرجهم من ظلمات المعاصي إلى أنوار الطاعات، من جهل حقيقة

ذاته وعلم بصفاته فهو الموحد، ومن اعتقد معرفة حقيقة الذات فهو الكافر الملحـــد، فليس الله في شئ ولا شئ منه، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ •سورة الشورى، الآية: ١١•.

والله سبحانه وتعالى هو الحي القيوم العظيم القوي العزيز ذا الجلال والإكرام الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد الحليم الكريم القريب المجيب.

وقد قيل: كل ما يخطر ببالك فالله بخلاف ذلك.

كما قيل: يستدل به ولا يستدل عليه. فهو برهان كل شئ. لأنه الحق المطلق.

والله سبحانه وتعالى ليس له تعريف لأنه مرجع جميع التعاريف. ولا يمكن إرجاعه هو إلى شئ. لا يحتويه الحرف ولا المعنى ولا الصورة ولا الشكل ولا الزمان ولا المكان فهو متعال على كل هذا وعلى كل ما نعلم. الظاهر والباطن. الظاهر فعله والباطن ذاته.

واسم •الله• سبحانه وتعالى هو أعظم الأسماء لدلالته على الذات الجامعة لصفات الألوهية، ولا يطلق على غيره بمجاز، ولا بحقيقة.

إن مسألة إثبات وجود الله سبحانه وتعالى، ليست مشكلة دينية، لأن وجود الله ســـبحانه مركوز في الفطرة الإنسانية. إنه سبحانه سمي نفسه الظاهر، إنه ظاهـــر أيـــنما وجه الإنسان بصره في الآفاق. وهو ظاهر إذا وجه الإنسان بصره في نفسه. ففي كل شئ له آية.

قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ •سورة فصلت، الآية: ٥٣•.

وقال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ •سورة الزاريات، الآية: ٢١•.

والواقع أن محاولة الاستدلال على وجود الله، إنما هي انحراف في الفطرة، وشذوذ في الطبائع.

إن الله سبحانه تعالى واحد أحد فرد صمد في ذاته وصفاته لا مثيل له في ذاته ولا نظير له في صفاته ولا شريك له في ملكه ولا حدوث في صفاته ولا زوال ولا بداية لقدمه ولا نهاية لبقائه دائم الوجود ولا آخر له قيوم الموجودات لا انقطاع له لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الجلال والجمال لا نهاية لكبريائه ولا غاية لعظمته وجلاله ليس بجسم ولا جسماني ولا بروح ولا روحاني ولا بجوهر محدود ولا تحله الجواهر بل هو خالق الأشياء أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. منزه عن الحركة والانتقال والجهة والمكان وأنه تعالى قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد. قربه من الخلق ليس كقرب الخلق بعضهم من بعض بل هو قرب يليق به سبحانه تعالى.

ومما ينبغي أن يتنبه إليه أصحاب العقول أن الحق سبحانه وتعالى يستحيل عليه أن يكون منفصلاً عن شئ أو أن يكون شئ منفصلاً عنه، أو يتصل بشيء أو يتصل به شئ ولا يدنو من شئ دنو حس، بل تنزه سبحانه عن جميع صفات الحوادث، إذا علمت ذلك فاعلم أن ما كان متشابهاً من الآيات والأحاديث النبوية فللعلماء فيها رأيان:

السلف يؤمنون به مع صرف ظاهره عما لا يليق بالحق سبحانه وتعالى والخلف يؤلون.

إن الله سبحانه وتعالى إله واحد لا ثاني له منزه عن الصاحبة والولد، مالك لا شريك له، ملك لا وزير له، صانع لا مدبر معه، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجود يوجده بل كل موجود مفتقر إليه في وجوده، فالعالم كله موجود به، وهو تعالي موجود بنفسه لا افتتاح لوجوده ولا نهاية لبقائه بل وجوده مطلق قائم بنفسه ليس بجوهر فيقدر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء، مقدس عن الجهات والأقطار،

مرئي بالقلوب والأبصار، استوى على العرش كما قال وعلى المعنى الذي أراده، كما أن العرش وما حواه به استوى، وله الآخرة والأولى، ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول، لا يحده زمان ولا يحويه مكان بل كان ولا مكان وهو الآن على ما عليه لأنه خلق المتمكن والمكان وأنشأ الزمان وقال أنا الواحد الحي الذي لا يؤده حفظ المخلوقات ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها من صفة المصنوعات تعالى الله أن تحله الحوادث أو يحلها أو تكون قبله أو يكون بعدها بل يقال كان ولا شئ معه إذ القبل والبعد من صيغ الزمان الذي أبدعه فهو القيوم الذي لا ينام والقهار الذي لا يرام ليس كمثله شئ وهو السميع البصير.

خلق العرش وجعله حد الاستواء وأنشأ الكرسي وأوسعه الأرض والسماء، اخترع اللوح والقلم الأعلى وأجراه كما يشاء بعلمه في خلقهإلى يوم الفصل والقضاء، أبدع العالم كله على غير مثال سبق، وخلق الخلق وأقسم بالذي خلق، أنزل الأرواح في الأشباح أمناء وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلفاء وسخر لها ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، فلا تتحرك ذرة إلا به وعنه، خلق الكل من غير حاجة إليه ولا موجب أوجب ذلك عليه لكن علمه سبق فلابد أن يخلق ما خلق، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شئ قدير أحاط بكل شئ علماً وأحصى كل شئ عدداً يعلم السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، كيف لا يعلم شيئاً هو خلقه، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، علم الأشياء قبل وجودها ثم أوجدها على حد ما علمها، فلا يزل عالماً بالأشياء، لم يتجدد له علم عند تجدد الكليات على الإطلاق كما علم الجزئيات بإجماع من أهل النظر والاتفاق، فهو عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون.

فعال لما يريـــد، فهو المدبر للكائنات في عالـــم الأرض والسموات، لم تتعلق قدرته تعالى بإيجاد شئ حتى أراده، كما أنه لم يرده حتى علمه، إذ يستحيل في العقل أن يريد مالا يعلم أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل مالا يريده، كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق من غير حي، كما يستحيل أن تقوم هذه الصفات بغير ذات موصوفة بها، فما في الوجود طاعة ولا عصيان، ولا ربح ولا خسران، ولا عبد ولا حر، ولا برد ولا حر، ولا حياة ولا موت، ولا حصول ولا فوت، ولا نهار ولا ليل، ولا اعتدال ولا ميل، ولا بر ولا بحر، ولا شفع ولا وتر، ولا جوهر ولا عرض، ولا صحة ولا مرض، ولا فرح ولا ترح، ولا روح ولا شبح، ولا ظلام ولا ضياء، ولا أرض ولا سماء، ولا تركيب ولا تحليل، ولا كثير ولا قليل، ولا غداة ولا أصيل، ولا بياض ولا سواد، ولا سهاد ولا رقاد، ولا ظاهر ولا باطن، ولا متحرك ولا ساكن، ولا يابس ولا رطب، ولا قشر ولا لب، ولا شئ من المتضادات والمختلفات والمتماثلات إلا وهو مراد للحق تعالى.

وكيف لا يكون مراداً له وهو أوجده؟ فكيف يوجد المختار مالا يريد لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لو اجتمع الخلائق على أن يريدوا شيئاً لم يرده الله تعالى لهم أن يريدوه ما أرادوه، أو أن يفعلوا شيئاً لم يرد الله إيجاده وأرادوه ما فعلوه ولا استطاعوا ذلك ولا أقدرهم عليه.

فالكفر والإيمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وإرادته ولم يزل سبحانه وتعالى موصوفاً بهذه الإرادة أزلاً والعالم معدوم، ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدبر عن جهل فيعطيه التدبر والتفكر علم ما جهل جل وعلا عن ذلك بل أوجده عن العلم السابق وتعيين الإرادة المنزلة الأزلية القاضية على

العالم بما أوجده عليه من زمان ومكان وأكوان وألوان، فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه إذ هو القائل سبحانه: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ·سورة الإنسان، الآية: ٣٠·.

وأنه تعالى كما علم فأحكم وأراد فخص وقدر فأوجد، وكذلك سمع ورأى ما تحرك، أو سكن أو نطق في الورى من العالم الأسفل والأعلى، لا يحجب سمعه البعيد فهو القريب، ولا يحجب بصره القريب فهو البعيد، يسمع كلام النفس في النفس وصوت الماسة الخفية عن اللمس، يرى سبحانه السواد في الظلماء والماء في الماء، لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور، وهو السميع البصير، تكلم سبحانه وتعالى لا عن صمت متقدم ولا سكون متوهم بكلام قديم أزلي كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته، كلم به موسى عليه السلام، سماه التنزيل والزبور والتوراة والإنجيل والفرقان من غير تشبيه ولا تكييف، فكلامه سبحانه وتعالى من غير لهاة ولا لسان، كما أن سمعه من غير ضمخة ولا آذان، كما أن بصره من غير حدقة ولا أجفان، كما أن إرادته من غير قلب ولا جنان، كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان، كما أن حياته من غير نجار تحريف قلب حدث عن امتزاج الأركان، كما أن ذاته لا تقبل الزيادة والنقصان. فسبحانه سبحانه من بعيد دان عظيم السلطان عميم الإحسان جسيم الامتنان. كل ما سواه فهو عن جوده فائض وفضله وجوده، وعدله الباسط له والقابض، أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه، لا شريك له في ملكه ولا مدبر معه فيه، إن أنعم نعم فذلك فضله، وإن أبلى فعذب فذلك عدله، لم يتصرف في ملك غيره فينسب إلى الجور كل ما سواه فهو تحت سلطان قهره ومتصرف عن إرادته وأمره.

فسبحان من لا فاعل سواه ولا موجد بذاته إلا إياه. والله خلقكم وما تعملون ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون، فلله الحجة البالغة ولو شاء لهداكم أجمعين .

إن الشخص إذا كان مؤمناً بالقرآن قاطعاً بأنه كلام الله تعالى: فالواجب عليه أن يأخذ عقيدته منه من غير تأويل ولا عدول إلى أدلة العقول مجردة عن الشرع. فإن القرآن دليل قطعي سمعي عقلي فقد أثبت سبحانه وتعالى أنه منزه عن أن يشبهه شئ من المخلوقات أو يشبه هو شيئاً منها بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1]. وبقوله تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2]. ونحوهما من الآيات، وأثبت رؤيته تعالى للمؤمنين في الآخرة بقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[3]. وبمفهوم قوله تعالى في الكفار: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[4].فدل على أن المؤمنين يرونه ولا يحجبون عنه وأثبت نفي الإطاحة بقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[5]. وبقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾[6]. وأثبت كونه تعالى قادراً عالماً بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[7]. وأثبت كونه تعالى عالماً بقوله: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾[8]. وأثبت كونه تعالى مريداً للخير والشر بقوله تعالى:﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[9]. وبقوله:﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى

---

(١) سورة الشورى ، الآية: ١١ .

(٢) سورة الصافات ، الآية: ١٨٠ .

(٣) سورة القيامة ، الآيتان: ٢٢– ٢٣ .

(٤) سورة المطففين ، الآية: ١٥ .

(٥) سورة الأنعام ، الآية: ١٠٣ .

(٦) سورة فصلت ، الآية: ٥٤ .

(٧) سورة الملك ، الآية: ١ .

(٨) سورة الطلاق ، الآية: ١٢ .

(٩) سورة هود ، الآية: ١٠٧ .

مَن يَشَآءُ ﴾[1]. وأثبت كونه تعالى سميعاً لخلقه بقوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾[2]. وأثبتَ كونه تعالى بصيراً بأعمال عباده بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[3]. وبقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[4]. وأثبت كونه تعالى متكلماً بقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[5]. وأثبت كونه تعالى حياً بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[6]. وأثبت رسالة الرسل بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾[7]. وأثبت رسالة محمد ﷺ بقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾[8]. وأثبت أنه ﷺ آخر الأنبياء بعثاً بقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[9]. وأثبت أن كل ما سواه خلقه بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[10]. وأثبت الجن بقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[11]. وأثبت الجن يدخلون الجنة بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾[12]. وأثبت حشر الأجساد بقوله تعالى: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴾[13]. إلى أمثال ذلك مما هو مذكور من الأدلة الصحيحة في كتب العقائد كوجوب الإيمان بالقضاء والقدر والميزان والحوض والصراط والحساب وتطاير الصحف وخلق الجنة والنار. قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[14].

وأثبت المعجزة لنبينا محمد ﷺ بقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[15] فإن القرآن الكريم كله معجزته ﷺ.

---

(1) سورة فاطر ، الآية: ٨ .

(2) سورة المجادلة ، الآية: ١ .

(3) سورة آل عمران ، الآية: ١٥٦ .

(4) سورة العلق ، الآية: ١٤ .

(5) سورة النساء ، الآية: ١٦٤ .

(6) سورة البقرة ، الآية: ٢٥٥ .

(7) سورة يوسف ، الآية: ١٠٩ .

(8) سورة الفتح ، الآية: ٢٩ .

(9) سورة الأحزاب ، الآية: ٤٠ .

(10) سورة الزمر ، الآية: ٦٢ .

(11) سورة الذاريات ، الآية: ٥٦ .

(12) سورة الرحمن ، الآية: ٥٦ .

(13) سورة العاديات ، الآية: ٩ .

(14) سورة الأنعام ، الآية: ٣٨ .

(15) سورة البقرة ، الآية: ٢٣ .

ثانياً: ينبغي أن يفهم أن أول ديانة معرفة الله، وكمال معرفته توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، والإخلاص نفي الصفات عنه بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنه غير الصفة، وشهادتهما جميعاً بالتنبيه على أنفسهما بالحدث الممتنع من الأزل. فمن وصف الله عز وجل فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن عده فقد أبطل أزله.

تقر العقيدة الإسلامية أن هناك ألوهية وعبودية. ألوهية يتفرد بها الله سبحانه وتعالى. كما تقرر تفرد الله سبحانه وتعالى بخصائص ألوهيته، وتجرد العبيد من هذه الخصائص.

فالله سبحانه وتعالى واحد في ذاته متفرد في خصائصه.

والله سبحانه وتعالى ذات واحد، قائم بنفسه، متفرد عن غيره بقدمه، متوحد عن سواه بربوبيته، لا يمازجه شئ، ولا يخالطه غير، ولا يحويه مكان، ولا يدركه زمان، ولا تقدره فكرة، ولا تصوره خطرة، ولا تعتريه فترة.

واعلم أنه يجب على كل عاقل أن يعتقد أن الله سبحانه وتعالى منزه عن كل ما يليق به فيعتقد أنه تعالى ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدور وأنه تعالى لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا قبول الانقسام وأنه تعالى لا تحله الجواهر ليس كمثله شئ ولا هو مثل شئ وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون والسموات وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواءً منزهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد.

إن الله سبحانه وتعالى هو الموجود السرمدي الكامل المطلق الكمال. وهو الإله الذي نريده بالإيمان، وهذا هو حقه في إيمان العقلاء بوجوده وربوبيته.ولكن العقل المحدود لا يحيط بالوجود المطلق الذي ليست له حدود.

ويجب له تعالى صفة الحياة والقدرة يعني أنه تعالى حيٌ قادر جبار قاهر لا يعتريه فتور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وأنه تعالى ذو الملك والملكوت والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته وأنه تعالى المتفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالإيجاد والإبداع، خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم، لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته، ويجب له صفة العلم يعني أنه تعالى عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الأرضيين إلى أعلى السموات وأنه تعالى عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفاً به تعالى.

ويجب له تعالى صفة الإرادة يعني أنه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير ، صغير أو كبير، خير أو شر، نفع أو ضر، إيمان أو كفر، عرفان أو نكر، فوز أو خسران، زيادة أو نقصان، طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدرته، وحكمته ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، هو المبدي المعيد، الفعال لما يريد، لا راد لأمره، ولا معقب لقضائه، ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته، فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك، وإرادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفاً

بها مريداً في أزله لوجود الأشياء في أوقاتها كما أراد في أزله من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وإرادته سبحانه وتعالى.

ويجب له تعالى صفة السمع والبصر يعني أنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى ولا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق، يرى من غير حدقة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان. كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آله سبحانه وتعالى.

ويجب له صفة الكلام وأن كلامه تعالى منزه عن مشابهته لكلام الخلق فليس بصوت ولا بحرف ينقطع بأطباق شفة أو تحرك لسان، والقرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذاته تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق، وأن موسى عليه السلام سمع كلامه بغير صوت ولا حرف.

والله علم على الذات العليـــة، وهو الإله العظيـــم. والرب الكريم.. وهو واجب الوجود وحده سبحانه ــ كان ولا شئ معه. وهو القديم الأزلي. الأول بلا بدايـــة، الباقي السرمدي. الآخر بلا نهاية، الظاهـــر في كل شئ من مخلوقاته. الباطن الذي لا تدركه الأبصار. ولا تحيط به الأفكار. وهو سبحانه يدرك كل شئ. ويحيط بكل أمر. وهو اللطيف الخبير.

وهو الحنان المنان، الرحمن الرحيم ــ وسعت رحمته كل شئ.

وهو العزيز القهار ــ لا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء.

وهو المؤمن. يبعث الأمن والطمأنينة في نفوس المؤمنين. فلا أمن إلا به ولا أمان إلا منه سبحانه.

وهو القيوم، القائم بتدبير السموات والأرضين وما فيهما على أحسن وجه وأتمه وأحكمه..

وهو الخالق لكل شئ. القادر على كل شئ. قدرة لا حد لها. المريد إرادة مطلقة. الواحد الأحد الفرد الصمد. الذي لم يلد ولم يولد. ولم يكـن له كفواً أحد ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ •سورة الشورى، الآية: ١١••

وهو سبحانه الغني الذي يفتقر إليه كل ما عداه. بيده ملكوت السموات والأرض. وفي حوزته خزائن الخير كله. لا يتصرف فيها إلا هو وحده. فهو يعطي من يشاء. ويمنع من يشاء•

وهو المعز المذل. يعز من يشاء ويذل من يشاء•

وهو المحيي المميت. أحيانا من العدم. وقدر المقادير كلها من القدم. وهو يميت كل حي في وقته المعلوم. وقدره المحتوم﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ •سورة الأعراف، الآية: ٣٤••

فالخلائق كلهم مسئولون بين يديه. يحاسب كل إنسان على ما قدمت يداه. ويجازي كل امرئ على عمله•

وهو سبحانه وتعالى الذي يعرف قدر نفسه. وحقيقة ذاته. وهو الذي له الثناء على نفسه المقدسة. والخلائق كلهم عاجزون عن ذلك•

إن الكلام في ذات الله تعالى على جهة التصور والتفصيل أو على جهة الإحاطة على حد علم الله كلاهما باطل بل من المتشابه الممنوع الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل لقوله تعالى:﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾ •سورة البقرة، الآية: ٢٥٥•. ولقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ ﴾ •سـورة الشورى ، الآيـة: ١١••. وإنما تتصور المخلوقات وما هو نحوها. ولما روي من النهي عن التفكر في ذات الله تعالى والأمر بالتفكـر في آلاء الله•

والله سبحانه وتعالى واحد بالعدد، ومنزّه عن كل صفة يتصف بها خلقه، وأن الصفات التي وصف الله بها ذاته كالقدرة، والحياة، لا تدل على كثرة في ذاته، لأنه سبحانه وتعالى واحد من كل وجه•

ويوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصف به رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والسنة من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

والله سبحانه وتعالى ليس هو خلقه، ولا جزء من خلقه، ولا جزء لخلقه، بل هو سبحانه وتعالى مميز بنفسه المقدسة، بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته.

وقد قيل: ليس كذاته ذات ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ، وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة، كما استحال أن تكون الذات المحدثة لها صفة قديمة.

سبحان من ليس كمثله شئ وجل عن الزمان والأين.

ومن المعلوم بداهة: أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحد من خلقه نسب. وأنه سبحانه: المتفرد في خلقه وحكمه. لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

فالله سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ، فكيف يدرك بمثال، أو إمعان نظر؟!

وثبت بالعقل والنقل من الكتاب والسنة أن الحق سبحانه وتعالى منزه عن الجارحة والجهة والحركة والسكون.

ثالثاً: إنَّ الإيمان بالله سبحانه وتعالى إنما هو الإيمان بأنه الإله الحق المستحق للعبادة دون كل ما سواه لكونه خالق العباد والمحسن إليهم والقائم بأرزاقهم والعالم بسرهم وعلانيتهم، والقادر على إثابة مطيعهم وعقاب عاصيهم. ولهذه العبادة خلق الله سبحانه وتعالى الثقلين وأمرهم بها، وقد أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل وأنزل الكتب لبيان هذا الحق والدعوة إليه والتحذير مما يضاده.

وحقيقة هذه العبادة هي إفراد الحق سبحانه وتعالى بجميع ما تعَبَّد العباد به من دعاء وخوف ورجاء وصلاة وصوم وذبح ونذر وغير ذلك من أنواع العبادة على وجه الخضوع له والرغبة والرهبة مع كمال الحب له سبحانه

والذل لعظمته. وغالب القرآن الكريم نزل في هذا الأصل العظيم، وكذلك الحديث النبوي الشريف.

ونعتقد أن الله سبحانه وتعالى واحد في ربوبيته، واحد في ألوهيته، واحد في أسمائه وصفاته. فلا خالق ولا رازق ولا محي ولا مميت ولا مدبر للأمور سواه. ولا معبود بحق في الوجود إلا هو، وهذا معنى: .لا إله إلا الله.. له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، كما أثبتها لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله، بلا تكييف، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تعطيل.

وأن الله سبحانه وتعالى ـ فوق سمواته، على عرشه، علا في خلقه، وهو سبحانه – معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون.

كما نعتقد أن عبادة غير الله شرك أكبر، وأن دعاء غير الله من الأموات والغائبين، وحبه كحب الله، وخوفه ورجائه، ونحو ذلك شرك أكبر.

إنَّ الله سبحانه وتعالى هو صاحب السلطان المطلق الذي لا يحده حد ولا يلحقه قيد يفعل ما يشاء، ويدع ويترك ما يريد وفق مشيئته وتدبيره وقدرته وعظمته، وعدله ورحمته واستدامة ملكه وتأكيد سلطانه فهو سبحانه فعال لما يريد. وهو سبحانه يجير ولا يجار عليه. وليس هذا السلطان المطلق الثابت لله ثابت لأحد غيره في عالم الغيب والشهادة وعالم الملك والملكوت.

وهو سبحانه وتعالى وحده غير المسئول عن أفعاله وأعماله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ .سورة الأنبياء، الآية: ٢٣..

وأنه سبحانه وتعالى وحده يملك كل شئ ويخضع لهيمنته وسيطرته كل شئ. وبيده وقدرته كل شئ. وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

.سورة يس، الآية: ٨٣..

وهو وحده المنزه عن الخطأ تقدست أفعاله وأعماله الملك القدوس السلام.

ويترتب على ضوء ما أسلفنا أنه لا عبودية إلا لله سبحانه وتعالى.

فالله سبحانه وتعالى هو المالك والمعين والمدبر للأمور، والخالق والرازق والمحيي والمميت، والمتصرف في شئون العباد بالتدبير والتشريع والأمر والإرشاد.

وهو الإله المعبود: أي الذي نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً أي نعبده ونصلي له ونطيعه ونسأله قضاء حوائجنا، ولا يستحق العبادة إلا من كان رباً خالقاً رازقاً قادراً على تحقيق المطالب. ولأنه لا يرزق ولا يخلق ولا يقدر على تدبير الأمور إلا الله، فلا يستحق العبادة إلا الله.

والعبادة لله سبحانه وتعالى هي كل ما يحبه الله ويرضى عنه قولاً كان أو فعلاً، وسواء أكان هذا القول أو الفعل ظاهراً أو مازال خفياً في النية.

والقرآن الكريم.. إذا استعرضت ما فيه من الأوامر، وما يشتمل عليه من النواهي.. رأيت أكثرها دعوة صريحة إلى الله سبحانه وتعالى، وإلى عبادته وتوحيده وتقديسه ومراقبته.

وهنا ينبغي أن ننبه أن الأديان كلها دعوة إلى عبادة الله وحده. والأنبياء جميعاً أول العابدين لله. فعبادة الله وحده هي إذن مهمة الإنسان الأولى في الوجود كما بينت ذلك كل الرسالات.

والإنسان مخلوق من أجل الطاعة والعبادة فقط كما جاء في القرآن الكريم.

والعبودية لله نوعان:

الأولى: عبودية قسرية تتمثل في كون الله ربنا ومالكنا وكوننا خاضعين للقوانين التي جرى عليها الكون والسنن التي نظم بها الخليقة، فنحن عباد الله بهذا المعنى شئنا أم أبينا.

وهناك نوع آخر من العبودية نستطيع أن نسميه الخضوع الإرادي أو الانقياد الشرعي، وهو الإقرار لله وحده بالعبادة والطاعة فيما شرعه لنا من

قوانين لا تصبح نافذة وجارية في الواقع إلا بتدخل إرادتنا، وهو ما يعبر عنه بالعبودية الإلهية.

فالإنسان لا ينفك عن وصف العبودية، لأنه كائن حي ذو حاجات ومطامع ولأن له قلباً.. فإما أن يكون عبداً لله، وإلا فهو عبد لغيره.

ومن هنا يتضح أن العبودية لله هي التحرر من أي عبودية أخرى.

رابعاً : الحق سبحانه وتعالى منزه عن صفات البشر.

وجميع أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته لا يدخله الترتيب بقبل ولا بعد، ولا بأول ولا بآخر، ولا يتوقف بحد ولا بزمان، ولا يوصف بالتعقيب ولا بالتقديم ولا بالتأخير. فقوته كنه قدرته. وقدرته دوام بقائه. ومشيئته إرادته. ونظره سعة علمه، وعلمه مدى نظره، وكلامه مطلق، لا على الترتيب فيعلم بنظره، وينظر بعلمه، خزائنه في كلامه، وقدرته في مشيئته، يخلق بيده إذا شاء وبكلمته إذا شاء وبإرادته إذا شاء وبمعاني صفاته كيف شاء، ولا يضطر إلى الكلام ولا كلامه إليه. فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

والحق سبحانه تعالى بذاته عن خلقه محجوب وبصفاته يتجلى في القلوب.

وصفات الحق سبحانه وتعالى قائمة بذاته، وليست قائمة بنفسها أولها استقلال من أي نوع ما في ذاتها على ذلك النحو الذي ذهبت إليه النصارى في القول بوجود أقانيم ثلاثة مستقلة عن الذات، مما أدى إلى تصورهم بتجسد أقنوم العلم في شخص السيد المسيح عليه السلام.

فالصفة لا تتصف بصفة أخرى لأنها في ذاتها ما هي إلا معنى دال على الذات.

ومما ينبغي أن يفهم أن صفات الله تعالى الثبوتية سبعة: وهي: العلم والحياة والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام. وكل صفة من هذه

الصفات لها تعلق إلا الحياة فإنها ينبوع الكمالات. فالعلم يتعلق بكل واجب وجائز ومستحيل. فالواجب هو ذات الله تعالى وصفاته، والجائز هو جميع الممكنات والمستحيل هو الذي لا يمكن وجوده. والإرادة تعلقها تخصيص والتخصيص ترجيح أحد الممكنات من العدم إلى الوجود على ما يريد أن يبرزه. والقدرة تعلقها تأثير والتأثير هو إبراز معدوم أو إعدام موجود. فلولا سبق العلم لم يحصل تخصيص الإرادة ولولا تخصيص الإرادة لم يحصل تأثير القدرة. والسمع يتعلق بكل مسموع قديم أو حادث. والكلام يتعلق بجميع ما يتعلق به العلم. وهذه الصفات كلها قائمة بذات الله تعالى.

إن الكلام في قضية الصفات الإلهية نفياً أو إثباتاً يعتبر خوضاً في الكلام عن الذات الإلهية. ومعلوم أن مدارك العقول لأمور الغيب ـ وعلى رأسها ما يتعلق بالله ـ أمر شاق وعسير ، والاستعانة فيها بنور الشرع أمر حتمي وضروري إذا أردنا تأسيس العقيدة على اليقين الجازم.

وهنا ينبغي أن نوضح أن حقيقة الإيمان، وهي الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلا الواردة في كتابه العزيز، والثابتة عن رسوله الأمين من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل يجب أن تمر كما جاءت بلا كيف مع الإيمان بما دلت عليه من المعاني العظيمة التي هي أوصاف لله عز وجلّ يجب وصفه بها على الوجه اللائق به من غير أن يشابه خلقه في شئ من صفاته. وهذا ما فعله السلف الصالح. لذلك كان من الواجب في هذا المقام أن نسلك مسلك السلف الصالح والتابعين من بعدهم عند الحديث عن أسماء الله تعالى وصفاته. وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل.

ولقد اتفق السلف على أن الكيف غير معلوم لنا. وهو أيضاً منفي بالنص فإن تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته غير المعلومة. وهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله.

وكذلك التمثيل منفي بالنص والإجماع القديم مع دلالة العقل على نفيه ونفي الكيف إذ كنه الباري غير معلوم للبشر ٠

فمذهب السلف هو إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها إذ الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات يحتذي حذوه ويتبع فيه مثاله فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف ٠

خامساً : معرفة الله سبحانه وتعالى هو أصل الدين وأول الواجبات. ومعرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته ومحبته ودعاؤه بها والتعبد له بمقتضاها هي جنة الدنيا التي من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة٠

إن الإيمان بأسماء الله وصفاته أحد أركان الإيمان بالله تعالى، وهي الإيمان بوجود الله تعالى، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته٠

ومنزلة العلم بأسماء الله وصفاته من الدين، وتوحيد الله به أحد أقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

إن التعبد بالأسماء والصفات يجعل القلب ممتلئاً بأجلّ المعارف باستحضار معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى، ويتأثر القلب بآثارها ومقتضياتها ويدعـو الله بها، ووعاء العبادة أن تتعبد لله سبحانه وتعالى مقتضى هذه الأسماء٠

إن السلف الصالح رضوان الله عليهم أقروا ما ورد على ما ورد، وآمنوا إيماناً صادقاً بكل ما وصف الله به نفسه، وبما وصف به رسول الله ﷺ، من غير تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل. لا يختلف الصحابة ولا الذين يلونهم في

هذا الاعتقاد أبداً، وإجماعهم حجة على من بعدهم، فيجب الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ.

فليس هناك فرق بين بعض الصفات وبعضها، وليست صفات الله مقتصرة على سبع كما يعتقد الأشاعرة أو غيرها بل كل ما ورد في الكتاب والسنة فيجب الإيمان به، كالحياة والسمع والبصر والقدرة والإرادة والعلم والكلام والرحمة والمحبة والرضا على المؤمنين والسخط على الكافرين والفرح بتوبة العبد حين يتوب إليه والضحك لرجلين يقتل أحدهما الآخر فيدخلان الجنة، واليدين والقدم، كل ذلك على ما يليق بعظمة الله وجلاله.

والسنة أصل في ذلك، فالحديث الصحيح حجة بنفسه في العقائد، ومنها إثبات صفات الله تعالى، ويدخل في التحريف: التأويل المذموم، الذي ابتدعه بعض الخلف لشبهات عقلية فأفسده كمن يؤول الاستواء بالاستيلاء، ومن يؤول اليدين بالقدرة، والحب والرضا والغضب بالإرادة، مع نفي هذه الصفات واعتقاد أن ظاهرها لا يليق بالله.

وقد أجمع السلف على الكف عن هذا التأويل، ولم يفسروا آيات القرآن ولا أحاديث الرسول ﷺ بهذه التأويلات البعيدة بل قالوا: «أمروها كما جاءت».. أي دالـــة على معانيها اللائقة بجلال الله، والإقرار بجهل الكيف، وعدم قدرة المخلوقين على الإحاطة به والحذر كل الحذر من التشبيه.

ولذا فقد اتفق السلف على ذم الفلسفة وعلم الكلام، وأنه ليس مصدراً لمعرفة العقيدة. ولذا كانت بدعة الجهمية بنفي الأسماء والصفات وتعطيلها وبدعة المعتزلة في نفي الصفات من شر البدع.

ومعلوم أن مذهب السلف هو أن وجوده تعالى أمر فطري معلوم بالضرورة، والأدلة عليه في الكون والنفس والآثار والآفاق والوحي أجل من الحصر، ففي كل شئ له آية وعليه دليل(٤).

والميزان الحقيقي لوزن الأمور الشرعية والعقدية هو الكتاب والسنة.

وينبغي أن نوضح في هذا المقام أن السلف الصالح أقروا ما ورد على ما ورد، وأثبتوا لله سبحانه وتعالى ما أثبته لنفسه، وما أثبته له نبيه ﷺ من غير تصرف فيه بكناية أو مجاز، وقالوا: لسنا أغير على الله من رسوله ﷺ، لكنهم نزهوا مولاهم عن مشابهة المخلوقات ـ سبحان الله! وأين التراب من رب الأرباب ـ ثم فوضوا إليه سبحانه تعيين ما أراده هو أو نبيه من الصفات المتشابهات. فأثبتوا الصفات وفوضوا الكيفيات ولم يشغلوا أنفسهم بطلب ذلك، لأن العقل عاجز عن إدراكها ومعرفتها.

وهـذا المنهج الذي اتبعه السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ فيه تمجيد للعقل حيث استعملوه في نطاق قدرته، ومجال دائرته.

وأما مخالفوهم ـ الخلف ـ فقد غلوا في تمجيد العقل، وظنوا أنه قادر على تفسير جميع الأشياء ومعرفتها، فوضعوه في غير محله، واستخدموه في غير ما خلق له، وأرادوا التنزيه بزعمهم فحملوا صفاته على غير حقيقتها، وذلك لأنهم قاسوا الخالق على المخلوق، فوقعوا فيما أرادوا أن يفروا منه.

ومن ذلك يتبين لك أيها القارئ المتفطن أن مذهب السلف هو الأعلم والأسلم والأحكم، وأن مسلك الخلف من زخرف الأقاويل وتحسين الأباطيـل، فإن الصحابة رضوان الله عليهم قد شاهدوا الرسول ﷺ والتنزيل، وهم أدرى بما نزل من الأمين جبريل عليه السلام، ومع ذلك لم يكونوا يخوضون في حقيقة الذات.

ولا شك أن من تتبع المنهج العقدي عند شيوخ المدرسة السلفية سوف يجد ضوابط موضوعية تجمع بين فكر السلفيين في القديم والحديث، فهم في العقائد يتمسكون بفهم الصحابة رضي الله عنهم – المنقول بواسطة المحدثين، هذا الفهم الذي وصفه المقريزي بقوله:

ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنه سأل رسول الله ﷺ عن شئ مما وصف الله به نفسه الكريمة، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ بل كلهم فهموا ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات ولا فرّق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل، وإنما أثبتوا لله تعالى صفات أزلية من العلم، والقدرة، والحياة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، والوجه، واليد، ونحو ذلك، مع نفى مما ثلته للمخلوقين..

فأثبتوا –رضي الله عنهم –بلا تشبيه، ونزهوا من غير تعطيل، ولم يتعرض أحد منهم إلى تأويل شئ من ذلك، ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت.

هذه هي قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي، وهي تعتبر عنواناً مؤشراً على إتباع مذهب السلف، والاقتداء بهم في فهم الإسلام. ثم أصبح مدلول السلفية اصطلاحاً يطلق على من تمسك بمذهب السلف وترك مذاهب المبتدعة، ولذا فإن مذهب السلف غير منحصر في مرحلة زمنية معينة، ولكنه ممتد إلى العصر الحاضر.

لذلك كان من الواجب على كل من أراد معرفة الله حق معرفته، أن يعرف جواهر الأشياء ليقف على الإبداع الحقيقي في جميع الكائنات، لأن من لم يعرف حقيقة الشيء لم يعرف حقيقة الإبداع. فالعاقل من تأمل الأمور ورعاها.

تلك هي النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لموضوع:

" **اللـــه في العقيـدة الإسلاميـــة** ".

وأرجــو أن أكون قد وفقت فيما قدمت من فصول هذا البحث، وفيمــا استخلصـــته من نتائج في إضافة جديدة. كما أرجو أن يكون إسهاماً في هذا المجال.

اللهم جنبنا الزلل، ووفقنا إلى خيـر القول والعمل، واختـم بالصالحات أعمالنا، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والله نعم المستعان وعليه التكلان ،،،

الدكتور

عبد الباري محمد داود

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

(ابن):

ابن الصباغ: (محمد بن أبي القاسم الحميري):

(١) درة الأسرار وتحفة الأبرار (تونس: المطبعة التونسية، سنة ١٣٠٤هـ).

ابن المرتضي اليماني: (أبو عبد الله محمد):

(٢) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد (القاهرة: مطبعة الآداب والمؤيد، سنة ١٣١٨هـ).

ابن تيمية: (تقي الدين أبي عبد الله أحمد بن عبد الحليم):

(٣) العقيدة الواسطية، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (القاهرة: المطبعة الشرفية، سنة ١٣٢٣هـ).

ابن سلامة القطاعي:

(٤) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم، من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (القاهرة: مطبعة السعادة، سنة ١٣٢٣هـ).

ابن عربي: (محيي الدين):

(٥) رد المتشابه إلى المحكم، تحقيق أبو بكر مخيون (القاهرة: مطبعة الصدق الخيرية، سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م).

ابن عطاء الله السكندري: (أبو الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم):

(٦) الله ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد (القاهرة: مطبعة صبيح، بدون تاريخ).

ابن قدامة المقدسي: (أحمد بن عبد الرحمن):

(٧) مختصر منهاج القاصدين، تقديم محمد أحمد دهمان، تعليق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط (القاهرة: دار التراث العربي، الطبعة الرابعة، سنة ١٣٩٨هـ)٠

ابن قيم الجوزية: (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب):

(٨) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، جزءان (بيروت: مؤسسة جمال، الطبعة الأخيرة، سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م)٠

(٩) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تقديم وتعليق أحمد حجازي السقا (القاهرة: المكتبة القيمية، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)٠

(١٠)مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ثلاثة أجزاء (القاهرة: دار التراث العربي، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م)٠

(أبـو):٠

أبو نصر السراج: (الطوسي):

(١١)اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور (القاهرة: لجنة التراث الصوفي، سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)٠

أبو نعيم الأصبهاني: (أحمد بن عبد الله الأصبهاني):

(١٢)حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، عشرة أجزاء (القاهرة: مطبعة السعادة، سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)٠

(ال):

البيهقي: (أبو بكر أحمد بن الحسين):

(١٣)دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد المعطي القلعجي (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، سنة ١٣٧٥هـ/١٩٨٥م)٠

الجيلاني: (عبد القادر):

(١٤) الغنية لطالبي طريق الحق، جزءان (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، مطبعة الحلبي، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٧٥هـ/١٩٦٥م).

الشعراني: (عبد الوهاب بن أحمد):

(١٥) الطبقات الكبرى، جزءان (القاهرة: مطبعة صبيح، بدون تاريخ).

(١٦) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، جزءان (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م).

(١٧) لطائف المنن والأخلاق، تحقيق عبد الحليم محمود (القاهرة: عالم الفكر، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م).

الشهرستاني: (محمد بن عبد الكريم):

(١٨) الملل والنحل، هامش الفصل في الملل والنحل والأهواء لابن حزم (القاهرة: دار السلام العالمية، بدون تاريخ).

الطحاوي:

(١٩) شرح العقيدة الطحاوية، حققها وراجعها جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني (الإسكندرية: دار إحياء السنة النبوية، بدون تاريخ).

الطيب الجكني: (عمر بن الحسين):

(٢٠) العقيدة السلفية والرد على المنحرفين عنها (بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

الغزالي: (أبو حامد محمد بن محمد):

(٢١) الأربعين في أصول الدين، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا (القاهرة: مكتبة الجندي، بدون تاريخ).

القشيري: (أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن):

(٢٢) الرسالة (القاهرة: مطبعة صبيح، بدون تاريخ)٠

(٢٣) شرح أسماء الله الحسنى، تحقيق وشرح أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلواني (القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)٠

المحاسبي: (الحارث بن أسد):

(٢٤) البعث والنشور، تحقيق محمد عيسى رضوان (بيروت: دار الكتب العلمية، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)٠

(الجيم):

جميل صليبا:

(٢٥) تاريخ الفلسفة العربية (بيروت: دار الكتاب العربي اللبناني، ١٩٨١م)٠

(السين):

سَفَر الخوالي:

(٢٦) منهج الأشاعرة في العقيدة (القاهرة: دار العلم، بدون تاريخ)٠

سيد قطب:

(٢٧) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته (القاهرة: دار الشروق، الطبعة الخامسة، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)٠

(الصاد):

صالح بن سعد السحيمي:

(٢٨) منهج السلف في العقيدة وأثره في وحدة المسلمين (الإسكندرية: دار البصيرة، بدون تاريخ)٠

صالح الجعفري:

(٢٩) المعاني الرقيقة على الدرر الدقيقة المستخرجة من بحر الحقيقة (القاهرة: دار جوامع الكلم، بدون تاريخ)٠

(٣٠) أسرار الصيام للخواص والعوام (القاهرة: دار جوامع الكلم، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)٠

(الطاء):

طه عبد الباقي سرور:

(٣١) الحلاج (القاهرة: دار نهضة مصر، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)٠

(٣٢) الحقوق الإسلامية (القاهرة: دار التراث العربي، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٥م)٠

(العين):

عباس محمود العقاد:

(٣٣) الإنسان والقرآن (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، بدون تاريخ)

عبد الحليم محمود:

(٣٤) أبو الحسن الشاذلي (القاهرة: دار التراث العربي، سنة ١٩٧٧م)٠

(٣٥) أبو مدين الغوث (القاهرة: الدار المصرية، بدون تاريخ)٠

(٣٦) أبو يزيد البسطامي (القاهرة: دار التراث العربي، سنة ١٩٧٦م)٠

(٣٧) التفكير الفلسفي في الإسلام (القاهرة: دار المعارف، سنة ١٩٨٤م)٠

(٣٨) القرآن والنبي (القاهرة: دار المعارف، سنة ١٩٧٩م)٠

(٣٩) سهل التستري (القاهرة: دار الشعب، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)٠

(٤٠)سفيان الثوري (القاهرة: دار المعارف، سنة ١٩٧٦م).

عبد الرحمن الصفوري:

(٤١)نزهة المجالس ومنتخب النفائس، جزءان (القاهرة: دار الفتح، سنة ١٩٧٩م).

عبد العزيز بن عبد الله بن باز:

(٤٢)العقيدة الصحيحة وما يضادها (المملكة العربية السعودية، الطائف: مكتبة الطرفين، سنة ١٤١١هـ).

عبد العزيز الديريني:

(٤٣)طهارة القلوب والخضوع إلى علام الغيوب، تحقيق محمود علي إبراهيم داود (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، مطبعة الحلبي، سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).

(الكاف):

كامل سعفان:

(٤٤)سبحان الله (القاهرة: دار المعارف، سنة ١٩٨٠م).

(الميم):

محمد بن صالح العثيمين:

(٤٥)القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تحقيق هاني الحاج (القاهرة: مكتبة العلم، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

محمد السيد الجليند:

(٤٦)منهج السلف بين العقل والتقليد (القاهرة: مطبعة العمرانية، سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

محمد حسين الذهبي:

(٤٧) التفسير والمفسرون (القاهرة: مكتبة وهبة، سنة ١٩٨٨م)٠

محمود بن الشريف:

(٤٨) الحب في القرآن (القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٤م)٠

محمود علي قراعة:

(٤٩) الفرار إلى الله تعالى (القاهرة: دار مصر للطباعة، سنة ١٩٦٩م)٠

مصطفى محمود:

(٥٠)رأيت الله (القاهرة: دار المعارف، سنة ١٩٧٧م٠

(اليـــاء):

ياسر برهامي:

(٥١)منة الرحمن (الإسكندرية: دار الإيمان، سنة ١٩٩٧م)٠

يوسف الدجوي:

(٥٢)كلمات في التنزيه بمناسبة الإسراء والمعراج، مقال منشور بمجلة الإسلام، العدد ٢٩، سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م٠

الفهرست